كلية اللغة العربية بأسيوط
المجلة العلمية

مُصنّفات مسلمي أهل الكتاب في تصحيح صورة النبي صلى الله عليه وسلم بالكتب المقدسة

كتاب " الدِّين والدولة " لعلي بن ربَّن الطبري " نموذج تحليلي مُقارَن "

إعداد

د/ نادر محمد إسماعيل

باحث في الحضارة الإسلامية

(العدد التاسع والثلاثون)

(الإصدار الثاني ـ الجزء السادس)

(١٤٤٢هـ/ ٢٠٢٠م)

مُصنّفات مسلمي أهل الكتاب في تصحيح صورة النبي صلى الله عليه وسلم بالكتب المقدسة

كتاب " الدِّين والدولة " لعلي بن ربَّن الطبري نموذج تحليلي مُقارَن

دكتور/ نادر محمد إسماعيل

باحث في الحضارة الإسلامية

البريد الإلكتروني : E –nader.mohamed@ccq.edu.qa

الملخص

تهدِف هذه الدراسة إلى التعرف على دور مُصنَّفات مُسلمي أهل الكتاب في تصحيح صورة النبي صلى الله عليه وسلم بالكتب المقدسة ، وتسليط الضوء – بصفة خاصة – على كتاب " الدِّين والدولة " لعلي بن ربَّن الطبري (كان حيَّاً ٢٤٧ هـ) كنموذج تحليلي مُقارَن . كما تبين الدراسة أن كتاب" الدين والدولة " لعلي بن ربَّن الطبري يُعد النموذج الرائد في مجال الدرس الديني المقارن ، والمصنَّف الأهم في تصحيح صورة النبي صلى الله عليه وسلم بالكتب المقدسة ، وذلك من حيث حجم النصوص التي استشهد بها صاحبه ، ومن حيث شروحه وتفسيراته التي وجّه بها تلك النصوص . وأخيراً تؤكد الدراسة أن النصوص التي استند إليها ابن ربّن في مجال إثبات نبوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، والبشارة به ، وتصحيح صورته في الكتب المقدسة كافية في بابها، حيث استند – من خلال اطلاعه على النص العبري الأصلي – على ما لا يقل عن ٦٨ نصاً من نصوص الكتاب المقدس (في عهديه القديم والجديد) ، منها ٧ نصوص صرَّحت بذِكر اسم النبي صلى الله عليه وسلم وصِفتِهِ ، وسمّته تسميةً.

الكلمات المفتاحية : مسلمو أهل الكتاب – الطبري – النبي صلى الله عليه وسلم – الكتب المقدسة – الدين والدولة – إثبات النبوة .

the works of the Muslims of the People of the Book in correcting the image of the Prophet in the Scriptures, the book "Religion and the State" by Ali ibn Raban al-Tab ari (was alive 247 Ah) as a comparative analytical model

Nader Mohamed Ismail

Researcher in Islamic civilization

Email: –nader.mohamed@ccq.edu.qa

Abstract

The purpose of study is to identify the role of the works of the Muslims of the People of the Book in correcting the image of the Prophet in the Scriptures, and to highlight, in particular, the book "Religion and the State" by Ali ibn Raban al-Tabari (was alive 247 Ah) as a comparative analytical model. The study also shows that the book "Religion and the State" by Ali ibn Raban Al-Tabari is the leading model in the field of comparative religious studies, and the most important work in correcting the image of the Prophet in the Scriptures, in terms of the size of the texts cited by his author, and in terms of his explanations and interpretations addressed by those texts. Finally, the study confirms that the texts that ibn Raban trusted in verifying the prophecy of the Prophet Muhammad, and correcting his image in the Scriptures are sufficient. He depended, through his knowledge of the

original Hebrew text - on at least 68 texts of the Bible (in his old and new testaments), including 7 texts that mentioned the name of the Prophet Muhammad, or his features, which we do not find in the current translations of the Bible.

Keywords: **The Muslims of the People of the Book – Tabari – the prophet Muhammad - the Scriptures - Religion and the State – proof the prophecy.**

مُقَدِّمَة

الحمدُ للهِ رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وخاتم النبيين، ورحمة الله للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد :

فلمَّا كان الإسلام هو الدِّين الأخير للبشرية، ولما كان النبي صلى الله عليه وسلم هو النبي الخاتم لجميع الأنبياء والمرسلين، فقد كان من الطبيعي – ومن المهم – أن يُبشِّر الرسل والأنبياء السابقون أممهم بقدومهم صلى الله عليه وسلم، ويذكروا لهم صفته ونعته، ويحثوهم على اتباعه ونصرته .

ولذلك يقول المولى سبحانه وتعالى : " الَّذِينَ آتَينَاهُمُ الكِتَابَ يَعرِفُونَهُ كَمَا يَعرِفُونَ أَبنَاءَهُم"(١)، ويقول أيضاً موضحاً ومبيناً صفته صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل : " الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكتُوباً

(١) سورة البقرة : آية (١٤٦). وتجدر الإشارة إلى أن المفسرين قد اختلفوا في عود الضمير في قوله تعالى " يعرفونه "، حيث ذهب ابن جرير الطبري إلى أن الضمير يرجع إلى البيت الحرام.(تفسير الطبري من كتابه جامع البيان عن تأويل آي القرآن، هذبه وحققه وضبط نصه وعلق عليه بشار عواد معروف، عصام فارس الحرستاني، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٤ م، جـ ١، ص ٤٢٤)، في حين نقل عبد الرحمن بن أبي حاتم قولاً ثانياً – وهو القول الذي قدّمه القرطبي في تفسيره على ما نقله الطبري – وهو أن الضمير في قوله تعالى " يعرفونه " عائد على النبي محمد صلى الله عليه وسلم، قاله مجاهد وقتاده وغيرهما، والمعنى :يعرفون نبوته وصدق رسالته، وصفته في كتابهم، كما يعرفون أبناءهم. (ابن أبي حاتم : تفسير القرآن العظيم مسنداً عن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين، تحقيق أسعد محمد الطيب، الرياض، مكتبة نزار مصطفى الباز، جـ ١، ص ٢٥٥، القرطبي : الجامع لأحكام القرآن، تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٧ هـ – ٢٠٠٦م، جـ ٢، ص ٤٤٧).

عِندَهُم فِي التَّورَاةِ والإنجِيلِ يَأمُرُهُم بِالمَعرُوفِ وَيَنهَاهُم عَنِ المُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيهِمُ الخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنهُم إِصرَهُم والأَغلالَ الَّتي كَانَت عَلَيهِم فالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولئِكَ هُمُ المُفلِحُونَ " [1] .

وقد كانت آخر بشارات الأنبياء بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم تلك البشارة التي جاءت على لسان عيسى عليه السلام، وفي ذلك يقول المولى سبحانه وتعالى : " وَإِذ قَالَ عِيسَى ابنُ مَريَمَ يَا بَنِي إِسرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيكُم مُّصدِّقاً لِّمَا بَينَ يَدَيَّ مِنَ التَّورَاةِ وَمُبشِّرا بِرَسُولٍ يَأتِي مِن بَعدِي اسمُهُ أَحمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذا سِحرٌ مُّبِينٌ " [2] .

وعن صفته صلى الله عليه وسلم في التوراة يقول عبد الله بن عمرو ابن العاص رضى الله عنه (ت ٣٦ هـ) : " والله إنه – أي النبي صلى الله عليه وسلم – لموصوف في التوراة بصفته في القرآن " يا أيها النبيُّ إنَّا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً " وحِرزاً للأُمِّيِّيين، أنت عبدي ورسولي، سمّيتُك المتوكل، ليس بفظٍّ ولا غليظٍ، ولا سخّابٍ في الأسواق، ولا يدفع بالسيئةِ السيئةَ، ولكن يعفو ويغفر، ولن يقبضه الله حتى يُقيم به الملَّة العوجاء بأن يقولوا: لا إله إلا الله، فيفتح بها أعيناً عُمياً، وآذاناً صُمّاً، وقلوباً غُلفاً " [3] .

---

(١) سورة الأعراف : آية (١٥٧). ومعنى الآية – كما يقول ابن أبي حاتم – : أي يجدوا نعته، وأمره، ونبوته مكتوباً عندهم. (تفسير القرآن العظيم : جـ ٤، ص ١٥٨٢).

(٢) سورة الصَّف : آية (٦).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب البيوع، باب كراهية السَّخَب في الأسواق، حديث رقم (٢١٢٥)، (طبعة دار ابن كثير، دمشق، ط ١، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢ م) ، وأبو عبد الله الحاكم في المستدرك : جـ ٢، ص ٦٧١، حديث رقم (٤٢٢٤)، (طبعة

ولذلك كله فقد كان علماء أهل الكتاب يعرفون أن محمداً صلى الله عليه وسلم هو ذلك النبي الخاتم، المُبَشّر به في الكتب المقدسة، فمنهم من آمن بـــه، وقاتـــل معه ونصره (١)، ومنهم من أنكر وجحد نبوته صلى الله عليه وسلم (٢).

وقد قيّض الله رجالاً من مُسلمي أهل الكتاب، قدموا لنا صورة صحيحة نقيـــة عن النبي صلى الله عليه وسلم، وفي مقدمة هؤلاء الرجال يأتي علي بـــن ربَّـــن الطبري (كان حياً ٢٤٧ هـــ)، وكتابه " الدين والدولة "، حيث نجح ابـــن ربَّـــن الطبري في تقديم صورة صحيحة نقية للنبي صلى الله عليه وسلم، وذلك مِن خلال نقلهِ عن ترجمات ضائعة للكتب السماوية السابقة على الإسلام، أو حتى من خلال

=دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ١٤٢٢ هـــ - ٢٠٠٢ م) من قول عائشة رضـــي الله عنها : " إن رسول الله صلى الله عليه وسلم مكتوب في الإنجيل لا فظٌّ ولا غليظٌ ولا سخَّاب بالأسواق ولا يجزي بالسيئة مثلها بل يعفو ويصفح "، وأبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي في المسند الجامع : بيروت، دار البشائر الإسلامية، ط ١، ١٤٣٠ هـــ - ٢٠١٣ م، ص ٩٥، وأبو القاسم علي بن هبة الله بن عساكر : تـــاريخ مدينـــة دمشـــق، دراســـة وتحقيق محب الدين أبو سعيد عمر بـــن غرامـــة، بيـــروت، دار الفكـــر، ١٤١٥ هـــــ - ١٩٩٥م،، جـــ ٣، السيرة النبوية، القسم الأول، ص ٣٨٩ من حديث عائشة السابق.

(١) وذلك مثل الحَبر مُخَيريق، الذي قاتل مع المسلمين يوم أُحُد (٣ هـــ)، ورُوي أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال عنه : " مُخيريق خير يهود ". (للمزيد ينظر : عبد الملـــك بـــن هشام : سيرة النبي تحقيق ودراسة مجدي فتحي السيد، طنطا، دار الصحابة للتراث، ط ١، ١٤١٦ هـــ - ١٩٩٥ م، جـــ ٢، ص ١٤٦).

(٢) وذلك مثل حُييّ بن أخطب وأخوه أبو ياسر بن أخطب، وفي ذلك تقول أم المؤمنين صـــفية ابن حُييّ ابن أخطب : " سمعتُ عمي أبا ياسر يقول لأبي، بعد قدوم النبي صلى الله عليـــه وسلم المدينة : أهوَ هوَ ؟ قال : نعم والله، قال : أتعرفه وتُثبته ؟ قال : نعم، قال : فما فـــي نفسك منه ؟ قال : عداوته والله ما بقيت ". (ابن هشـــام : المصـــدر الســـابق، جـــ ٢، ص ١٤٧).

تلك الترجمات التي كان يضعها بنفسه لتلك الكتب، والتي تحدثت عن النبى صلى الله عليه وسلم تصريحاً أحياناً، وتلميحاً أحياناً أخرى .

ومن هنا تأتي أهمية ذلك البحث الذي يحاول أن يُجلي صورة النبي صلى الله عليه وسلم، في واحد من أهم المصنفات التي صنفها مسلمو أهل الكتاب عن النبي صلى الله عليه وسلم في عصور الإسلام المبكرة، ولا تقتصر أهمية الكتاب على تلك النصوص التي ينقلها صاحبه فقط، بل تنبع أهميته أيضاً من تلك الشروح والاستنباطات والتعليقات التي وضعها مؤلف الكتاب لتلك النصوص التي استشهد بها، وهو العالِم بالإنجيل، وترجمات الكتاب المقدس، والتي قلَّبها على جميع وجوهها، وتعمق في مختلف ترجماتها طيلة سبعين عاماً .

وقد اتبع الباحث في عرضه لهذا البحث المنهج المقارن التحليلي.

أما عن أهداف البحث فتتمثل فيما يلي :

- إلقاء الضوء على أهم الكتابات المبكرة لمسلمي أهل الكتاب عن النبي صلى الله عليه وسلم.
- تحليل محتويات كتاب " الدين والدولة " لعلي بن ربَّن الطبري.
- عرض صورة النبي صلى الله عليه وسلم في نبوءات الأنبياء السابقين كما جاءت في كتاب " الدين والدولة " مقارنة بترجمات الكتب المقدسة الحالية .
- مناقشة دعوى عدم موضوعية علي بن ربّن الطبري في نقله وتحليله لنصوص الكتاب المقدس .

وهذه الأهداف الأربعة تنعكس في إشكالية البحث، والتي تحاول الإجابة على الأسئلة الآتية :

- ما الجديد والمميز الذي قدّمته كتابات مسلمي أهل الكتاب عن النبى صلى الله عليه وسلم ؟.
- ما المنهج والأسلوب الذي سلكه ابن ربَّن الطبري في كتابته وتصويره للنبي صلى الله عليه وسلم ؟.
- ما أهمية الصورة التي قدمها كتاب " الدين والدولة " عن النبى صلى الله عليه وسلم؟.

وتنعكس الإشكالية السابقة في محتوى البحث وعناصره، وهي كالتالي :

- الكتابات المبكرة لمسلمي أهل الكتاب عن النبى صلى الله عليه وسلم .
- عليّ بن ربَّن الطبري مؤلف كتاب الدين والدولة .
- كتاب الدين والدولة .. محتواه وأقوال المحققين فيه .
- صورة النبى صلى الله عليه وسلم في أسفار موسى كما عرضها كتاب الدين والدولة وكما جاءت في ترجمات الأسفار الحالية .
- صورة النبى صلى الله عليه وسلم في مزامير داوود كما عرضها كتاب الدين والدولة مقارنة بترجمات المزامير الحالية .
- صورة النبى صلى الله عليه وسلم في نبوءات أشعيا كما عرضها كتاب الدين والدولة مقارنة بترجمات الأسفار الحالية .
- صورة النبى صلى الله عليه وسلم في الإنجيل كما عرضها كتاب الدين والدولة مقارنة بترجمات الإنجيل الحالية .
- دعوى عدم موضوعية علي بن ربّن الطبري في نقله وتحليله لنصوص الكتاب المقدس .
- الخاتمة وأهم النتائج .
- المصادر والمراجع .

المبحث الأول

الكتابات المُبكرة لمُسلمي أهل الكتاب عن النبي صلى الله عليه وسلم

منذ أن خرج علينا علي بن ربَّن الطبري بمُصنَّفه " الدين والدولة " في إثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، وقد توالت مُصنَّفات مُسلمي أهل الكتاب تنسج على منواله في هذا الباب، وتحاول أن تصحح صورة النبي صلى الله عليه وسلم في الكتب المقدسة السابقة على الإسلام، ومن أهم تلك المصنفات :

(١) **كتاب " إفحام اليهود "** .

وهذا الكتاب من تصنيف السموأل بن يحيى المغربي (ت ٥٧٠ هـ)، كان والده – الرآب يهوذا بن آبون – أعلم أهل زمانه بعلوم التوراة، ولما وُلد السموأل شغله أبوه بالكتابة بالقلم العبري، ثم بعلوم التوراة وتفاسيرها، حتى أحكم عِلم ذلك عند كمال الثالثة عشرة من مولده، كما اشتغل بالحساب والطب [١] .

ثم طلب الأخبار الصحيحة، فقرأ كتب المؤرخين وما جاء فيها من أخبار النبي صلى الله عليه وسلم، فشاهد – كما يقول – المعجزة التي لا تباريها الفصاحة الآدمية في العِلم، فعلم صحة إعجازه [٢]، وبعد تحكيم العقل صحَّ عنده بالدليل القاطع – كما يقول – نبوة المسيح والمصطفى صلى الله عليهما وسلم، وآمَن

---

(١) السموأل بن يحيى المغربي : إفحام اليهود وقصة إسلام السموأل ورؤياه النبي صلى الله عليه وسلم، دراسة وتحقيق د. محمد عبد الله الشرقاوي، بيروت، دار الجيل، ط ٣، ١٤١٠هـ – ١٩٩٠ م، ص ص ٤٤ –٤٧.

(٢) المصدر نفسه : ص ٤٨.

بهما، ثم جاء وقت الهداية، وجاءته الموعظة الإلهية برؤية النبي صلى الله عليه وسلم في المنام، فأسلم وحسن إسلامه [١] .

أما عن كتاب " إفحام اليهود " فقد خصصه صاحبه للرد على اليهود في مسائل متعددة، وذلك واضح في معرض ذِكره لغرضه من تأليف الكتاب، وهو – كما يقول – : " الرد على أهل اللجاج والعناد، وأن يظهر ما يعتور كلمتهم من الفساد " [٢]، وقد اعتمد السموأل في إفحام اليهود طريقاً مما يتداولونه في أيديهم، من نص تنزيلهم، وقد أعماهم الله عنه عند تبديلهم ليكون حجة عليهم، موجودة في أيديهم [٣] .

وقد خصص قسماً كبيراً ومهماً للحديث عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وذلك في محورين مهمين : المحور الأول : إلزامهم نبوة عيسى ونبوة المصطفى صلى الله عليه وسلم [٤]، والمحور الثاني : ذِكر الآيات والعلامات –التي في التوراة – الدالة على نبوة سيدنا محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم [٥] .

وقد نقل السموأل في المحور الثاني نصوص التوراة التي تُبشِّر بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم في أصلها العِبري، ثم فسّرها باللغة العربية، وهي تقريباً

---

(١) السموأل بن يحيى المغربي : إفحام اليهود وقصة إسلام السموأل ورؤياه النبي صلى الله عليه وسلم، دراسة وتحقيق د. محمد عبد الله الشرقاوي، بيروت، دار الجيل، ط ٣، ١٤١٠هـ – ١٩٩٠ م، ص ص ٥٩.

(٢) المصدر نفسه : ص ٨٦.

(٣) المصدر نفسه : والصفحة نفسها.

(٤) المصدر نفسه : ص ص ١٠٣ –١٠٧.

(٥) المصدر نفسه : ص ص ١١١ – ١٢٠.

نفس النصوص التي نقلها علي بن ربَّن الطبري وغيره من مسلمي أهل الكتاب، عند حديثهم على بشارات الأنبياء بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم [١] .

(٢) كتاب " النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية "

وهذا الكتاب من تصنيف نصر بن يحيى بن عيسى بن سعيد المتطبب، كان نصرانياً فأسلم واشتهر بالمهتدي [٢]، ويبدو أن كتب التراجم والأعلام قد سكتت عن ترجمته، وإن كانت قد توسعت في ترجمة طبيب اسمه : " يحيى بن يحيى بن سعيد، المعروف بابن ماري المسيحي " وهو من أهل البصرة ، كان عالماً بالطب والأدب، ويتكسب من الكتابة فيهما، توفي بالبصرة سنة ٥٨٩ هـ [٣]، وقد ينهض بذلك فرض علمي أنه هو صاحبنا [٤] .

---

(١) سوف يتضح لنا عند تناول النصوص التي نقلها ابن ربَّن في كتاب " الدين والدولة " ، أنها هي نفس النصوص التي استدل بها السموأل ومسلمي أهل الكتاب على نبوة وصفة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، إلا أن النصوص عند ابن ربَّن أوسع وأشمل مما نقل غيره.

(٢) إسماعيل بن محمد أمين البغدادي : هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، بيروت، دار إحياء التراث العربي، على طبعة وكالة المعارف الجليلة باستانبول، ١٩٥١ م، جـ ٢، ص ٤٩٢.

(٣) ياقوت بن عبد الله الحموي : معجم الأدباء، مطبعة دار المأمون، الطبعة الأخيرة، جـ ٢٠، ص ص ٤٠ – ٤١، كما ذكره جمال الدين القفطي باسم : " يحيى بن سعيد بن ماري الطبيب النصراني ".(إخبار العلماء بأخبار الحكماء، القاهرة، مطبعة السعادة، ١٣٢٦هـ، ص ٢٣٦).

(٤) قال محقق كتاب " النصيحة الإيمانية " : " ينهض عندي فرض علمي بأن هذا المتطبب – يحيى بن يحيى بن سعيد – الذي تُرجم له هو صاحبنا (نصر بن يحيى نفسه)، وقد وقع تصحيف في كتابة الاسم الأول (نصر) فصحفت إلى (يحيى)، وهو غير بعيد الوقوع، ونفترض أن هذا قد وقع عند أقدم من ترجم له وقد نقل المترجمون الباقون عنه دونما تمحيص ". (مقدمة الدكتور محمد عبد الله الشرقاوي لكتاب النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية، القاهرة، دار الصحوة للنشر والتوزيع، ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م، ص ١٧).

وإذا كان كتاب " إفحام اليهود " هو ردٌّ على اليهود في اعتقاداتهم، فإن كتاب " النصيحة الإيمانية " هو رد على النصارى في مذاهبهم واعتقاداتهم، وفي دعاويهم وتناقض كلامهم واختلاف أقوالهم، وفيما ذكروه من معجزات المسيح عليه السلام وادعائهم فيه الألوهية .

وقد خصص صاحب كتاب " النصيحة الإيمانية " الفصل الرابع والأخير من كتابه في الدلائل على نبوة سيد المرسلين وخاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم من التوراة والإنجيل وغيرهما [١]، ولكنه لم يكثر من النصوص الدالة على ذلك، حيث نقل نصوصاً من الإنجيل تدور جميعها حول فكرة الفارقليط (أو البارقليط) [٢] الذي تحدث عنه عيسى عليه السلام .

أما من التوراة فقد نقل أربعة نصوص – فقط – تدل على نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم [٣]، ويظهر في هذا النصوص تأثره الكبير بابن ربَّن الطبري، حيث نقل نصاً كاملاً من ترجمة ابن ربَّن لأحد نصوص سِفر أشعيا [٤] .

---

(١) النصيحة الإيمانية : ص ص ١٣٨ – ١٥٠.

(٢) المصدر نفسه : ص ص ١٣٩ –١٤١، وتجدر الإشارة إلى أن الباحث سوف يتوسع في الحديث عن هذا النص، وعن معنى كلمة " الفارقليط "، واختلاف ترجمتها في نسخ الكتاب المقدس المختلفة عند حديثه على كتاب " الدين والدولة ".

(٣) المصدر السابق نفسه : ص ص ١٤٤ – ١٤٩.

(٤) المصدر نفسه : ص ص ١٤٥ – ١٤٦، وقارن : الدين والدولة في إثبات نبوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، لعلي بن ربَّن الطبري، حققه وقدم له عادي نويهض، بيروت، دار الآفاق الجديدة، ط ١، ١٣٩٣ هـ – ١٩٧٣ م، ص ص ١٥٧ – ١٥٨

(٣) كتاب " مسالك النّظر في نبوّة سيِّد البشر " .

ومؤلف الكتاب هو سعيد بن حسن الإسكندراني، لم أعثر له على ترجمة إلا ما جاء في رسالته، وفيها يذكر أنه كان يهودياً عاش في الإسكندرية، ثم أسلم في مستهل شعبان سنة ٦٩٧هـ [١]، وقد صنف رسالته تلك في جامع بني أمية بدمشق سنة ٧٢٠ هـ [٢]، ويظهر من رسالته أنه كان أحد علماء اليهود، العالمين باللسانين العبراني والسرياني، حيث كان ينقل نقلاً مباشراً من نسخ العهد القديم العبرانية والسريانية [٣] .

أما عن كتاب " مسالك النظر " فرغم أن صاحبه قد نقل من النصوص الدالة على نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم مثلما نقل غيره، إلا أنه ينفرد بذكر نصوص من العهد القديم لم يذكرها من سبقه مِن مسلمي أهل الكتاب .

مِن ذلك – مثلاً – النص الآتي والمتعلق بقصة نوح عليه السلام، والذي نقله من التوراة بعد قصة آدم عليه السلام، وفيه : " لما طلع من السفينة اعتزل نساءه، خوفاً على ذريته من الغرق من طوفان آخر، فأوحى الله إليه : يا نوح ارجع إلى أهلك فإني لا أُهلِكُ الأرض بعدُ، وأنَّ الله أراه القوس الذي يظهر في الغمام، وقال له : هذا عهدي بأن لا أُهلِك الأرض بطوفانٍ، وأن الله عز وجل أراه

---

(١) مسالك النَّظر في نبوَّة سيِّد البشر : تحقيق الدكتور محمد عبد الله الشرقاوي، القاهرة، مكتبة الزهراء، ١٩٩٠م، ص ٧٧.

(٢) المصدر نفسه : ص ٨١.

(٣) المصدر نفسه : ص ٤٥، ص ٤٩، ص ص ٥١ – ٥٣، ص ٥٥، ص ٨١.

الأنبياء الذين يخرجون، ومن جملتهم محمد صلى الله عليه وسلم، وقال له : من أجل هذا النبي صلى الله عليه وسلم لا أُهلِك الأرض بطوفانٍ أبداً " [١] .

هذا فضلاً عن نصوص أخرى انفرد سعيد الإسكندراني بذكرها، مما لم ينقله غيره من مسلمي أهل الكتاب [٢] .

(٤) كتاب " تُحفة الأريب في الرّدِّ على أهل الصليب "

ومؤلف الكتاب هو إنسلم تورميدا (Encelem Turmeda)، الشهير بعبدالله الترجمان الأندلسي، وأصله من مدينة ميورقة بالأندلس، من علماء أهل الكتاب الراسخين، قرأ الإنجيل في السادسة من عمره، وحفظ أكثر من شِطره في

---

(١) مسالك النظر : ص ص ٤٤ – ٤٥. والنص الذي ذكره سعيد الإسكندراني موجود في سفر التكوين (٩ / ١١-١٧) ولكن لا يوجد فيه ذِكر للنبي محمد صلى الله عليه وسلم. (ينظر : الترجمة اليسوعية للكتاب المقدس، بيروت، دار المشرق، ط ٣، ١٩٩٤م، والترجمة العربية للترجمة السبعينية، ترجمة د. خالد جورج اليازجي، القاهرة، مدرسة الإسكندرية، ط ١، ٢٠١٨ م، وطبعة رِجارد واطس، لندن، ١٨٣٣ م، على النسخة المطبوعة في روما ١٦٧١م، وطبعة الآباء الدومنكان، بيروت، جمعية الكتاب المقدس، ٢٠٠٠ م، عن النسخة الأصلية ١٨٧٥م).

(٢) مثل النص الذي نقله سعيد الإسكندراني ناسباً إياه للنبي عوبديا، وهو نص يتحدث عن نبي يخرج من العرب، تعضده الملائكة، ويخرب ديار اليهود، فيطلبه اليهود لقتله، فيخرج منهم هارباً. (مسالك النظر : ص ص ٥٤ – ٥٥). والنص غير موجود في الترجمات التي بين أيدينا (ينظر : نبوءة عوبديا بالترجمة اليسوعية للكتاب المقدس، والترجمة العربية للترجمة السبعينية، وطبعة رِجارد واطس، وطبعة الآباء الدومنكان، بيروت)، ولهذا يرى المستشرق سيدني ويستون(Sydney Adams Wiston) أن سعيد الإسكندراني قد حرّف نصوصاً من العهد القديم وأوّلها لتطابق غرضه. (مقدمة سيدني ويستون لكتاب مسالك النظر، ترجمة الدكتور محمد عبد الله الشرقاوي، ص ١٠). وهي الدعوى التي سيناقشها الباحث في المبحث الأخير من هذا البحث.

مدة سنتين، كما أخذ في تعلم لغة الإنجيل [١] وعِلم المنطق مدة ست سنين، ثم رحل في طلب العلم إلى العديد من مدن الأندلس، وفي إحدى الدروس التي كان يحضرها جرى اختلاف في " البارقليط " الذي يأتي بعد عيسى، فسأل عبد الله الترجمان القسيس الأكبر عنه، فأخبره بعد تردد أنه اسم من أسماء النبي محمد صلى الله عليه وسلم، فرجع عبد الله الترجمان إلى ميورقه، ومنها إلى صقلية، حتى استقر بتونس، وكان بها إسلامه وارتفاع شأنه عند سلطانها [٢] .

وبجانب اللغات التي كان يتقنها عبد الله الترجمان، أخذ في تعلم اللغة العربية، فحفظ جميع اللسان العربي في مدة عام، وكان يترجم للسلطان أبي العباس أحمد ابن فارس (ت ٧٩٦ هـ) ما يرد إليه من كتب باللغات الفرنسية والإيطالية، فحسنت حاله عنده [٣] .

أما عن كتاب " تحفة الأريب " فقد احتلت الردود على عقيدة النصارى الجزء الأكبر منه، ثم جاء حديثه عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم في الجزء التاسع والأخير، حيث أورد فيه نصوصاً من التوراة والإنجيل تبشر وتشير إلى النبي صلى الله عليه وسلم، ولكنه لم يأتِ فيها بجديد عمن سبقوه، وهي النصوص التي سوف يذكرها الباحث ويناقشها عند عرضه لكتاب " الدين والدولة " .

---

(١) لا يتضح بالضبط أي لغة كان يقصد عبد الله الترجمان، هل اللغة العبرية أم اليونانية أم غيرهما ؟، لكن من الثابت – كما جاء في هذه الرسالة – أنه كان يعرف اللاتينية واليونانية، هذا فضلاً عن الفرنسية والإيطالية والعربية. (القس إنسلم تورميدا الشهير بعبدالله الترجمان الأندلسي : تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب، تقديم وتحقيق وتعليق دكتور محمود علي حماية، القاهرة، دار المعارف، ط ٣، د. ت، ص ٤٩، ص ١٤٠).

(٢) تحفة الأريب : ص ص ٣٧ – ٤٣.

(٣) المصدر نفسه : ص ٤٩.

المبحث الثاني
علي بن ربّن الطبري مؤلف كتاب " الدِّين والدولة "

هو أبو الحسن عليّ بن سهل بن ربَّن الطبري [1]، كان أبوه من أبناء كُتّاب مدينة مرو [2]، وذوي الأحساب والآداب بها، وكان له نفاذ إلى كتب الطب

---

(١) ذكره النديم باللام فقال : ابن ربل. (ينظر : الفهرست، بيروت، دار المعرفة، د. ت، ص ٤١٢) ، في حين ذكرته جميع المصادر – حتى عليّ بن ربَّن نفسه – بالراء، فقالت : ابن ربَّن. (ينظر : علي بن ربَّن الطبري : فردوس الحكمة، اعتنى بنسخه وتصحيحه الدكتور محمد الزبير الصديقي، برلين، ١٩٢٨ م، ص ١، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري : تاريخ الطبري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار المعارف، ط ٢، د. ت، جـ ٩، ص ٨٥، ص ٩٠، ص ٩٦، ظهير الدين علي بن زيد البيهقي : تاريخ حكماء الإسلام، عني بنشره وتحقيقه محمد كرد علي، دمشق، مطبوعات المجمع العلمي العربي، ١٩٤٦ م، ص ٢٢، جمال الدين القفطي : إخبار العلماء بأخبار الحكماء، القاهرة، مطبعة السعادة، ١٣٢٦ هـ، ص ١٢٨، بهاء الدين محمد بن حسن المعروف بابن اسفنديار : تاريخ طبرستان، ترجمة وتقديم أحمد محمد نادي، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، ط ١، ٢٠٠٢م ، ص ١٤٠، أحمد بن القاسم المعروف بابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء، طبعة معهد تاريخ العلوم العربية الإسلامية، جامعة فرانكفورت، ألمانيا، ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م، على طبعة القاهرة، ١٢٩٩ هـ جـ ١، ص ٣٠٩، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي : الوافي بالوفيات، تحقيق واعتناء تزكي مصطفى، أحمد الأرناؤوط، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط ١، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م، جـ ٢١، ص ١٠٢).

(٢) هناك مدينتان تسميان " مرو "، الأولى : مرو الشاهجان، أو مرو الكبرى، والثانية : مرو الروذ، أو مرو الصغرى، وكلاهما تقعان في منطقة خُراسان التاريخية، والتي يتقاسمها حاليا إيران الشرقية وأفغانستان وتركمنستان. (للمزيد ينظر :، كي لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥ م . ص ص ٤٣٩ – ٤٤٨، محمود شاكر : خُراسان،، بيروت، المكتب الإسلامي ، ط ١، ١٣٩٨ هـ – ١٩٧٨ م ص ٧).

والفلسفة، وقد لُقِّب بربَّن، وتفسيره عظيمنا ومعلمنا [١]، وعلى يدي والده تلقى عليٌّ تعليمه الأول، حيث تعلم العربية والسريانية والعبرانية، وقليلاً من اليونانية، كما تعلم الطب والفلسفة والهندسة أيضاً [٢] .

وقد انتقل عليٌّ بعد أن بلغ العاشرة مع والده إلى طَبَرِستان [٣]، ثم دخل في خدمة المازيار ابن قارن أمير طبرستان [٤] . و بعدما ارتد المازيار عن الإسلام إلى المزدكية [٥] وخرج على الخليفة [٦] فرَّ عليٌّ إلى

(١) علي بن ربَّن الطبري : فردوس الحكمة، ص ١.

(٢) المصدر نفسه : من مقدمة المحقق، ص (ز).

(٣) كارل بروكلمان : تاريخ الأدب العربي،، نقله للعربية، الدكتور عبد الحليم النجار، ط ٣، دار المعارف، القاهرة، جـ ٤، ص ٢٦١. وطبرستان معناها : بلاد الجبل، ويتألف معظمها مما يعرف اليوم بجبال البرز جنوب بحر قزوين. (للمزيد ينظر : كي لسترنج، مرجع سابق، ص ص ٤٠٩ – ٤١٧).

(٤) الطبري : تاريخ الطبري، جـ ٩، ص ٩٠، النديم : الفهرست، ص ٤١٢، ابن اسفنديار : تاريخ طبرستان، ص ١٤٠.

(٥) الديانة المزدكية هي ديانة وضعية ظهرت في بلاد فارس، أسّسها رجل يسمى " مزدك "، ظهر أيام الملك قباد بن فيروز، ومثلها مثل الديانة المانوية في القول بالأصلين القديمين النور والظلمة، وتبيح الديانة المزدكية تناول الملذات والانعكاف على بلوغ الشهوات، والاختلاط والمشاركة في الحرم والأهل ؛ لا يمتنع الواحد منهم من حرمة الآخر، وقد جاءت خاتمة مزدك هذا على يد الملك أنوشروان، حيث قتله وقتل أصحابه. (للمزيد ينظر : النديم، مصدر سابق، ص ص ٤٧٩ – ٤٨٠ ، محمد بن عبد الكريم بن أحمد الشهرستانى: الملل والنحل،، تحقيق محمد السيد كيلاني، بيروت، دار المعرفة، ط ٢، ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥ م جـ ١، ص ص ٢٤٩ – ٢٥٠، كريستنسن : إيران في عهد الساسانيين، ص ص ٣٢٣ – ٣٣٣).

(٦) بروكلمان : تاريخ الأدب العربي، جـ ٤، ص ٢٦١.

الرَّيّ [١] ثم إلى سُرَّ مَن رأى (سامرّاء) [٢] حيث أسلم على يد الخليفة المعتصم بالله العباسي (ت ٢٢٧ هـ) [٣] .

ولما أسلم ابن ربَّن قرّبه الخليفة المعتصم وأسند إليه ديوان رسائله [٤]، ثم أدخله المتوكل على الله (ت ٢٤٧ هـ) بعد ذلك في جملة ندمائه [٥] .

إذن لم يولد عليٌّ مسلماً، وإنما أسلم بعد أن وصل العراق على يد أحد خلفاء بني العباس، ولكن هل كانت ديانته قبل الإسلامية هي اليهودية أم النصرانية ؟ .

اختلف المحققون في تلك المسألة، وقد وقع هذا الاختلاف بسبب ما أورده القفطي (ت ٦٤٦ هـ) في ترجمته لعليٍّ ووالده، حيث ذهب إلى أن ربَّن الطبري المنجم، يهودي من أهل طَبَرستان، كان له تقدم في علم اليهودية، والربَّن والربين والراب – كما يقول – أسماء لمقدمي شريعة اليهود [٦] .

---

(١) مدينة الري بإيران – على ما ذكر بلدانيو العصور الوسطى – كانت جزءاً من إقليم الجبال، وأضحت اليوم أحد أجزاء الجنوب الشرقي لمدينة طهران بإيران. (للمزيد ينظر : ياقوت الحموي : معجم البلدان، بيروت، دار صادر، د. ت، جـ ٣، ص ١١٦، ١٢٢، لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية، ص ص ٢٤٩ – ٢٥١)

(٢) القفطي : إخبار العلماء، ص ١٥٥.

(٣) رغم أن النديم أرجع إسلام ابن ربَّن إلى المعتصم (الفهرست : ص ٤١٢)، إلا أن ابن ربَّن قد ذكر في خاتمة كتاب " الدين والدولة " ما يُشتمُّ منه أنه أسلم على يد الخليفة المتوكل العباسي، وفي ذلك يقول : " ولله الشكر على ما هداني، ثم لعبده وخليفته جعفر المتوكل على الله، أمير المؤمنين أطال الله بقاءه، على ما ندَبَني له، واجترّني وغيري من أهل الذمة إليه، ترغيباً منه وترهيباً، واحتساباً وحباً منه للناس كافة ". (الدين والدولة : ص ٢١٠).

(٤) ابن اسفنديار : مصدر سابق، ص ١٤٠.

(٥) النديم : مصدر سابق، ص ٤١٢.

(٦) إخبار العلماء بأخبار الحكماء : ص ١٢٨.

ولكن المتأمل في المصادر، وفيما قاله عليّ بن ربَّن نفسه يوقن بأنه كان نصراني الديانة، وأن تلك المسألة تعتبر محسومة، لقوة النصوص التي تؤكد ذلك، وأول تلك النصوص ما ذكره عليٌّ في سبب تأليفه لكتاب " الرد على أصناف النصارى "، حيث يقول في ذلك : " ولقد دعاني القديم من ذلك إلى أن ألفت كتابي هذا، للتنصل من دين النصرانية، والإعذار والنصيحة للنصارى كافة " (١) .

والنص الثاني الذي يؤكد تلك الحقيقة، ويدلل على أن ابن ربَّن كان نصرانياً، ذكره عليٌّ في كتاب " الدين والدولة "، وفي ذلك يقول : " ... وما زلت وأنا نصراني أقول، ويقول عمٌّ لي كان من علماء القوم وبلغائهم ... " (٢) .

أضف إلى ذلك كله تأكيد شيخ المؤرخين أبو جعفر الطبري (ت ٣١٠ هـ) في تاريخه أكثر من مرة، أن عليَّ بن ربَّن هو كاتب نصراني (٣) .

ولم يتعرض أحد ممن ترجم لعلي بن ربَّن لتحديد سنة وفاته (٤)، ومع ذلك فمن المرجح أن الرجل كان حياً قبل سنة ٢٤٧هـ، وهي السنة التي قُتل فيها الخليفة المتوكل على الله العباسي (٥)، حيث دعا له ابن ربَّن في كتابه

---

(١) الرد على أصناف النصارى : تحقيق وتقديم خالد محمد عبده، القاهرة، مكتبة النافذة، ط ١، ٢٠٠٥ م، ص ٤٤.

(٢) ص ٩٨.

(٣) تاريخ الطبري : جـ ٩، ص ٨٥، ص ٩٠، ص ٩٦.

(٤) يرى البغدادي أن ابن ربَّن توفي في حدود سنة ٢٦٠ هـ (هدية العارفين : جـ ٢، ٦٦٩)، ولكن هذا بعيد لأن المستنتج من النصوص أن ابن ربَّن وُلد في أوائل خلافة المهدي (١٥٨ – ١٦٩ هـ)، فيكون عمره حين مات حسب رواية البغدادي نيف ومائة واثنتي عشرة سنة، ولو كان هذا الأمر صحيحاً لذكره المؤرخون الذين اعتنوا بوفيات المعمّرين من أعلام المسلمين. (مقدمة عادل نويهض لكتاب الدين والدولة : ص ١٧).

(٥) الطبري : تاريخ الطبري، جـ ٩، ص ٢٢٢.

" الدين والدولة " بطول البقاء [1]، وعلى هذا يكون ابن ربَّن قد توفي سنة ٢٤٧ ه أو بعدها بقليل .

(١) ص ص ٣٥ – ٣٦، ص ٥٣، ص ٢١٠.

المبحث الثالث
كتاب الدِّين والدولة .. محتواه وأقوال المحققين فيه

أما عن كتاب " الدِّين والدولة " فأول من عرّف به ونشره المستشرق ألفونس منغانا (Alphonse Mingana / ١٨٨١ – ١٩٣٧ م)، وترجمه إلى الإنجليزية عام ١٩٢٢م، من نسخة وحيدة بخزانة رايلندز بمانشستر (John Rylands Library) [١] .

ثم طُبع المتن العربي بمطبعة المقتطف بمصر عام ١٩٢٣ م، وذلك في حوالي ١٤٤ صفحة، وبعد ذلك توالت طبعات الكتاب في العالم العربي، حيث نُشر في بيروت عام ١٩٧٣ م، وذلك بتحقيق وتعليق عادل نويهض [٢]، وقد أهمل المحقق ذكر النُّسخ التي اعتمد عليها، إلا أنَّ تطابق الهوامش التي أثبت فيها الأخطاء الواقعة في النص، مع الهوامش التي أثبتها منغانا، لا يدع لدينا مجالاً للشك أنه اكتفى بإعادة نشر طبعة المقتطف، فأثبت ٣٨ هامشاً من هوامش منغانا بألفاظها أو تكاد، والغريب أنه يجهل تماماً – أو يتجاهل – مشكلة صحة نسبة الكتاب إلى علي بن ربَّن، وكل ما كُتب في شأنها [٣] .

ومع الطبعة التي نشرها نويهض، هناك أيضاً طبعة نشرتها المكتبة العتيقة بتونس ودار التراث ببيروت بدون تاريخ، وهي طبعة مصورة عن طبعة

---

(١) بروكلمان : تاريخ الأدب العربي، جـ ٤، ص ٢٦٣.

(٢) تجدر الإشارة إلى أن نشرة نويهض هي التي أنقل عنها في هذا البحث، لأن طبعة منغانا مفقودة من السوق أو شبه معدومة.

(٣) عبد المجيد الشرفي : الفكر الإسلامي في الرد على النصارى، تونس، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٦ م، ص ١٣٣.

منغانا [١]، وآخر طبعة وقف عليها الباحث لكتاب " الدين والدولة " تلك التي خرجت بتحقيق الباحث خالد محمد عبده، عن بيت الغشام بمسقط [٢]، وهي تمتاز عن الطبعات السابقة بأن المحقق رجع لنسخة خطية ثانية غير نسخة منغانا، وهي نسخة كُتبت بالقسطنطينية سنة الألف ومائة وثمان وستين (١١٦٨هـ)، عن نسخة كُتبت قبل هذا التاريخ بخمسمائة واثنين وخمسين سنة [٣] .

ومنذ أن نشر منغانا كتاب " الدين والدولة " وهو محل بحث ونظر، حيث طعن البعض في نسبة الكتاب لعليّ بن ربَّن الطبري، وعلى رأس هؤلاء المشككين بويج (Bouyges) وبيترز (Peeters) [٤] ، ومما قد يدعم الفرضية التي ذهبا إليها، ما جاء في كتاب " الدين والدولة " على لسان علي بن ربَّن نفسه، عندما قال " ومن المسيح إلى سنتنا هذه ثمانمائة وسبع وستون سنة " [٥]، وبالحساب الهجري فإنَّ ذلك يوافق سنة ٢٥٣ هـ [٦]، وهذا يعارض ما ذكره عليٌّ نفسه عن الخليفة المتوكل في الكتاب نفسه، حيث دعا له بطول البقاء [٧]، والخليفة المتوكل قُتل سنة ٢٤٧ هـ [٨] ؟! .

---

(١) عبد المجيد الشرفي : مرجع سابق، ص ص ١٣٢ – ١٣٣.

(٢) تحمل الطبعة رقم ١، وقد نشرتها الدار عام ٢٠١٣ م.

(٣) الدين والدولة، طبعة بيت الغشام، مقدمة المحقق، ص ٣٧.

(٤) بروكلمان : مرجع سابق، جـ ٤، ص ٢٦٣.

(٥) ص ١٨٣.

(٦) أنطون بشارة قيقانو : جدول السنين الهجرية وما يوافقها من السنين الميلادية، بيروت، دار المشرق، ط ٣، ١٩٩٧م، ص ١٢.

(٧) الدين والدولة : ص ص ٣٥ – ٣٦، ص ٥٣، ص ٢١٠.

(٨) الطبري : تاريخ الطبري، جـ ٩، ص ٢٢٢.

هذا بالإضافة إلى أننا لم نجد أحداً ممن ترجم لعليّ بن ربَّن الطبري، ذكر كتاب " الدين والدولة " ضمن الكتب التي صنفها عليٌّ [١] .

وفي مقابل هؤلاء المشككين في نسبة الكتاب لابن ربَّن، فقد فنّد البعض تلك الادعاءات، ودافع عن نسبة الكتاب لابن ربّن، ومن هؤلاء المحققين : H . Guppy , Bulletin of J D . S Margolioth : وأيضاً [٢]، وقد ذكر الدكتور عبد المجيد الشرفي بدوره تلك الحجج التي عرضها المشككون، وخلص منها إلى أن أغلبها غير مقنع، وأن فيها قدراً كبيراً من التعسف [٣] .

أضف إلى ذلك ظهور نسخة خطية جديدة ذكرها الباحث خالد محمد عبده – كما أسلفنا الحديث عن طبعة مسقط –، وقد كُتب في ظهر تلك النسخة أن مؤلف هذا الكتاب كان نصرانياً، وأنه أسلم على يد المتوكل، وألَّف هذا الكتاب بإشارته، وهذا النص يحمل سنداً توثيقياً لكتاب عليّ بن ربَّن الطبري، إذ إن النسخة ينتهي سندها إلى المصنف، كما يحمل توثيقاً لشخصية عليّ نفسه [٤] .

أما عن محتوى الكتاب فقد بدأه المؤلف بمقدمة، تحدث فيها على نعمة الإسلام، ثم شرع في توضيح أوجه القصور التي اعترت الكتابات السابقة في هذا

---

(١) ينظر في ترجمة علي بن ربَّن : النديم، الفهرست، ص ٤١٢، القفطي : إخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص ١٥٥، البيهقي : تاريخ حكماء الإسلام، ص ص ٢٢ – ٢٣، ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء، جـ ١، ص ٣٠٩، ابن اسفنديار : تاريخ طبرستان، ص ١٤٠، الصفدي : الوافي بالوفيات، جـ ٢١، ص ١٠٢، البغدادي : هدية العارفين، جـ ١، ص ٦٦٩. حيث لا يوجد ذِكرٌ لكتاب " الدين والدولة " في تلك المصادر التي ترجمت له.

(٢) بروكلمان : مرجع سابق، جـ ٤، ص ٢٦٣.

(٣) الفكر الإسلامي في الرد على النصارى : ص ١٣٢.

(٤) الدين والدولة، طبعة بيت الغشام، مقدمة المحقق، ص ٣٧.

الفن، ثم لخص المزايا التي يتميز بها كتابه عن تلك الكتب التي سبقته، ثم ختم المقدمة بتلخيص لفكرة كتابه، والخطة التي اعتمدها للعمل به، وعرض للعلل الأربع التي كانت سبباً في مخالفة جميع من خالف الإسلام، ثم عزم على مناقشة هذه العلل بمنهج العالِم الواثق المُنصِف [١] .

ثم شرع في استيفاء جزء آخر مهم قبل الولوج إلى موضوعات الكتاب الرئيسة، حيث تحدث عن وجوه الخبر، والإجماع العامي، وأنواع الخبر [٢]، وختم هذا الجزء بالحديث عن الدلائل على تصحيح الأخبار [٣] .

ثم خصص المؤلف الباب الأول للحديث عن " توحيده عليه السلام ودعائه إلى ما دعا إليه إبراهيم عليه السلام وجميع الأنبياء " [٤]، والثاني في " فضائل سُنَنِه وشرائعه صلى الله عليه وسلم " [٥]، والثالث في آيات النبي صلى الله عليه وسلم التي ردّها وجحدها أهل الكتاب " [٦]، والرابع في " أنه عليه السلام حكى أموراً

---

(١) الدين والدولة : ص ص ٣٣ – ٣٦.

(٢) المصدر نفسه : ص ص ٣٦ – ٤١.

(٣) المصدر نفسه : ص ص ٤١ – ٥٣.

(٤) المصدر نفسه : ص ص ٥٤ – ٥٦.

(٥) المصدر نفسه : ص ص ٥٧ – ٦٤.

(٦) المصدر نفسه : ص ص ٦٥ – ٧٥. وتجدر الإشارة إلى أن عنوان الباب الثالث جاء في طبعة دار الآفاق الجديدة التي أنقل عنها كالتالي : " في آيات النبي صلى الله عليه وسلم التي رددها وجحدها أهل الكتاب "، ولعل الصواب ما أثبتناه نقلاً عن طبعة بيت الغشام (ص ١٢٤).

غائبة عنه تمت في أيامه " [١]، والخامس في " نبوءات النبي صلى الله عليه وسلم التي تمت بعد وفاته " [٢] .

وقد جاء الباب السادس في " أُمِّيَّة النبي صلى الله عليه وسلم وأن الكتاب الذي أنزله الله عليه وأنطقه به آية للنبوة " [٣]، والسابع في " أن غَلَبة النبي صلى الله عليه وسلم آية من آيات النبوة " [٤]، والثامن في " أن الداعين إلى دينه والشاهدين بحقيقة أمره كانوا خيار الناس وأبرارهم " [٥]، والتاسع في " أنه لو لم يظهر النبي صلى الله عليه وسلم لبطلت نبوات الأنبياء " [٦]، والعاشر في " نبوءات الأنبياء على النبي صلى الله عليه وسلم وعليهم " [٧] . وبعد أن انتهي المؤلف من أبواب الكتاب الأساسية ختم بمجموعة من الردود المهمة، بدأها بالرد على مَن ذكر أن المهاجرين والأنصار دخلوا في الدين من غير آية [٨] ، ثم ردّ على من عاب الإسلام بسُنَّةٍ من سُنَنِهِ أو شريعة من شرائعِهِ [٩]، كما ردّ على من أنكر مخالفة النبي صلى الله عليه وسلم موسى والمسيح عليهما السلام [١٠]، وختم

(١) الدين والدولة : ص ص ٧٦ – ٧٩.
(٢) المصدر نفسه : ص ص ٨٠ – ٩٧.
(٣) المصدر نفسه : ص ص ٩٨ – ١٠٧.
(٤) المصدر نفسه : ص ص ١٠٨ – ١١٣.
(٥) المصدر نفسه : ص ص ١١٤ – ١٢٩.
(٦) المصدر نفسه : ص ص ١٣٠ –١٣٦.
(٧) المصدر نفسه : ص ص ١٣٧ – ١٨٩.
(٨) المصدر نفسه : ص ص ١٨٩ – ١٩٥.
(٩) المصدر نفسه : ص ص ١٩٥ – ٢٠١.
(١٠) المصدر نفسه : ص ص ٢٠١ – ٢٠٣.

تلك الردود بالرد على من زعم أن القيامة لم يذكرها أحد غير المسيح عليه السلام [١] .

ثم جاءت خاتمة الكتاب في صورة سؤال منطقي، موجه من المؤلف لكل سائل وباحث عن الدين الحق، لخَّص فيه منهج واعتقاد كل طائفة وأُمَّة، تلخيصاً يفضي بالسائل المُنصِف إلى الدخول في دين الإسلام [٢] .

(١) الدين والدولة : ص ص ٢٠٣ -٢٠٦.

(٢) المصدر نفسه : ص ص ٢٠٧ – ٢١٠.

المبحث الرابع
صورة النبى صلى الله عليه وسلم في أسفار موسى كما عرضها كتاب " الدين والدولة " وكما جاءت في ترجمات الأسفار الحالية

هنا عرض ابن ربَّن لمجموعة من النصوص المبشِّرة بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم والدالة عليه، كما فهمها وأوّلها، وسيكتفي الباحث بعرض ثلاثة من تلك النصوص كما عرضها ابن ربَّن، وكما فهمها وأوّلها أيضاً غيره من مسلمي أهل الكتاب الذين استدلوا بنفس النصوص .

والنَّص الأول قال الله فيه لإبراهيم عليه السلام : " قد أجبتُ دعاءَك في إسماعيل، وباركتُ عليه وكثّرتُه، وعظّمتُه جداً جداً، وسيلد اثني عشر عظيماً، وأجعله لأُمَّةٍ عظيمة " فهذا في ترجمة مارقس الترجمان، فأما في التوراة التي فسرها الاثنان وسبعون حبراً من أحبار اليهود (١) : " إنه سيلد اثني عشر أمة من الأمم " (٢) .

---

(١) يشير ابن ربَّن بذلك إلى التوراة التي نُقلت من العبرية إلى الإغريقية في عهد بطلميوس الثاني، فيما عُرف باسم الترجمة السبعينية. (للمزيد ينظر : أ. د. مصطفى كمال عبد العليم د. سيد فرج راشد، اليهود في العالم القديم، دمشق، دار القلم، بيروت، الدار الشامية، ط ١، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥م، ص ٢٢٠، وهامش الصفحة نفسها).

(٢) الدين والدولة : ص ١٣١. ولا يختلف النص عند ابن ربَّن كثيراً عن الترجمات الحالية، ففي طبعة رجارد واطس للكتاب المقدس : " وعلى إسماعيل استجبتُ لك، هو ذا أباركه، وأُكبِّره، وأُكثِّرهُ جداً، فسيلد اثني عشر رئيساً، وأجعله لشعب كبير ". (سفر التكوين ١٧/٢٠-٢١)، وفي طبعة الآباء الدومنكان : " وأما إسماعيل فاستجبتُ لك فيه، ها أنا أباركه، وأُكبِّرهُ، وأُكثِّرهُ كثيراً جداً، سيلد اثني عشر رئيساً، وأجعله أُمّةً كبيرة ". (تكوين ١٧ / ٢٠)، وفي الترجمة العربية للسبعينية : " وها قد سمعتُ لك بشأن إسماعيل، فها قد باركتُه، وسأُنميِّه، وأُكثِّرهُ جداً، اثنتي عشرة عمارة سيلد، وأُعطي منه أُمّةً عظيمة ".

وهذا النَّص نفسه قد استدل به السموأل بن يحيى المغربي على أن اسم النبي محمد صلى الله عليه وسلم قد أُشير إليه في التوراة، حيث ترجم النَّص للعربية بصورة لا تختلف عما نقله ابن ربَّن، وعما يوجد في الترجمات الحالية، ولكنه ذكر النَّص في اللسان العبري هكذا : " وليشماعيل شمعيتَخَا هنِّي يبرختي أونوا وهِفريثي أوثو وهِزْ بيثي أوثو بمادماد "، وذهب إلى أن كلمة " بمادماد " إذا عددنا حساب حروفها بالجُمَّل [1] كان اثنين وتسعين، وذلك عدد حساب حروف اسم " محمد " صلى الله عليه وسلم، فإنه أيضاً اثنان وسبعون [2] .

وللبعض أن يتساءل : لماذا جُعل اسم النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك الموضع مُلغزاً، لا يظهر إلا بعد تمعن ونظر ؟، ثم إنه قد يوجد في التوراة عدد كلمات مما يكون عدد حساب حروفه مساوياً لعدد حساب حروف اسم زيد وعمرو وخالد، فلا يلزم من ذلك أن يكونوا أنبياء! .

=(تكوين ١٧ / ٢٠)، وفي الترجمة اليسوعية : " وأما إسماعيل فقد سمعتُ قولك فيه، وهاءنذا أباركه وأُنميِّه، وأُكثِّرهُ جداً جداً، ويلد اثني عشر رئيساً، وأجعله أُمّةً عظيمة ". (تكوين ١٧ / ٢٠).

(١) حساب الجُمَّل هو طريقة لتسجيل الأرقام باستخدام الحروف الأبجدية، إذ يُعطي كل حرف رقم معين يدل عليه، وحروف حساب الجُمَّل على ما تعرفه العرب هي : أبوجاد (أبجد)هواز (هوز) حطي كلمون (كلمُن) سعفص قرشات (قرشت) ثخذ ضظغ. (للمزيد ينظر : محمد بن أحمد بن يوسف الخوارزمى، مفاتيح العلوم، تحقيق فان فلوتن، طبعة الذخائر، القاهرة، ٢٠٠٤، عدد ١١٨، ص ص ١٩٥ – ١٩٦).

(٢) إفحام اليهود : ص ص ١١٥ – ١١٦.

يقول السموأل " إنما جُعل اسم النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك الموضع مُلغزاً، لأنه لو صُرِّح به لبدّلته اليهود أو أسقطته من التوراة، ومن جهة أخرى – كما يقول – فليس لهذا الكلمة " بمادماد " أسوة بغيرها من كلمات التوراة، فليس في التوراة من الآيات ما حاز به إسماعيل الشرف كهذه الآية، وليس في التوراة آية أخرى مشتملة على شرف لقبيلة زيد أو عمرو أو خالد، ثم إنه ليس في هذه الآية كلمة تساوى " بمادماد " التي معناها (جداً جداً)، وذلك أنها كلمة المبالغة من الله سبحانه، فلا أسوة لها بشيء من كلمات الآية المذكورة " (١) .

والنص الثاني الذي استدل به ابن ربَّن على نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وحقه، قول موسى عليه السلام : " إن الرَّبَّ يُقيم نبياً مِثلي مِن بينكم، ومن إخوتكم، فاسمعوا له وأطيعوا "، وقالت التوراة في هذا الفصل بعينه – كما يقول ابن ربَّن – مؤكدة لهذا القول وموضحة له، أنه قال الرَّبُّ لموسى عليه السلام : " إني مقيمٌ لهم نبياً مثلك من بين إخوتهم، وأيُّما رجل لم يسمع كلماتي الذي يؤديها ذلك الرجل باسمي أنا أنتقم منه " (٢) .

وقد وجّه ابن ربَّن النص السابق، واستنبط منه أنه إشارة لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم، وردَّ أقوال المعارضين في استدلاله السابق بقوله : " ... ولم يُقِم الله نبياً من بني إسرائيل إلا محمداً صلى الله عليه وسلم، وقوله " من بينهم "

---

(١) إفحام اليهود : ص ص ١١٥ – ١١٧. وكذلك فسّر سعيد بن حسن الإسكندراني – وهو العالم باللسان العبراني – كلمة " بماد ماد " أنه محمد صلى الله عليه وسلم. (مسالك النظر: ص ٤٦).

(٢) الدين والدولة : ص ١٣٧. ولا يختلف النص عند ابن ربَّن كثيراً عن الترجمات الحالية. (ينظر : طبعة رجارد واطس للكتاب المقدس، سفر التثنيه ١٨ / ١٥، ١٨ / ١٨ – ٢٠، طبعة الآباء الدومنكان، تثنية ١٥/١٨، ١٨ / ١٨ –٢٠، الترجمة العربية للسبعينية، تثنية ١٥/١٨، ١٨ / ١٨–٢٠، الترجمة اليسوعية، تثنية ١٥/١٨، ١٨/١٨–٢٠).

تأكيداً وتحديداً أنه من ولد أبيهم لا من ولد عمومتهم، فأما المسيح عليه السلام وسائر الأنبياء فإنهم كانوا من أنفسهم، ومَن ظن بأن الله تعالى لم يميز مَن هو مِن القوم ومَن هو مِن إخوتهم فقد ظن عجزاً، فأما من ادعى أن هذه النبوة في المسيح عليه السلام فقد ظلم بخلَّتين وتجاهل من وجهين، أحدهما : أن المسيح عليه السلام من ولد داوود، وداوود منهم أنفسهم وليس من إخوتهم، والثانية أن من قال مرة أن المسيح خالق غير مخلوق، ثم زعم أن المسيح مثل موسى، فقد تناقض خبره وتذبذب قوله، وأن من زعم أن هذه النبوة في يشوع بن نون فقد أخطأ، لأن يشوع ليس في الأنبياء، ولأنه من القوم أنفسهم وليس من إخوتهم " [1] .

والنص الأخير المنسوب إلى موسى عليه السلام، والذي استدل به ابن ربَّن على نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وصفته في التوراة، جاء فيه : " إن الرَّبَّ جاء من طور سينين، وطلع لنا من ساعير، وظهر من جبل فاران، ومعه عن يمينه رِبْوات القديسيين، فمنحهم العز وحببهم إلى الشعوب، ودعا بجميع

(١) الدين والدولة : ص ١٣٨. وتجدر الإشارة إلى أن معظم مصنفات مسلمي أهل الكتاب قد استدلت بهذا النص على نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وفهم منه علماء أهل الكتاب الذين أسلموا نفس ما فهمه ابن ربَّن الطبري. (للمزيد ينظر : إفحام اليهود، ص ص ١١١ – ١١٣، النصيحة الإيمانية : ص ص ١٤٤ – ١٤٥، تحفة الأريب : ص ص ١٣٩ – ١٣٩). على أن سعيد بن حسن الإسكندراني هو الوحيد من بين هؤلاء العلماء، الذي أوضح أن هذا النبي سيكون من أولاد إسماعيل، فقال في تفسيره للنص العبري " نابي أقيم لا هام مقارب أحي خام مبني يشماعل " : " وتفسير ذلك : سنرسل إليكم نبياً من قرابتكم من أولاد أخيكم إسماعيل، سأجعل نطقي بفيهِ ". (مسالك النظر : ص ص ٤٨ – ٤٩).

قديسيه بالبركة " [1] .

وقد ذهب ابن ربَّن إلى أن النص السابق دليل يشير إلى نبوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم وصفته [2]، وفي ذلك يقول تعليقاً على النص : " ففاران هي البلدة التي سكنها إسماعيل عليه السلام، ولذلك قدّم الله ذكرها في التوراة في قوله " فكان يتعلم الرمي في بريّة فاران " وقد علم الناس كلهم أن إسماعيل سكن مكة، فولده وأعقابه فيها وفيما حولها، يعرفون مأوى جدهم، ولا يجهلون بلده ووطنه، وقد طلع الربُّ من فاران، فإن لم يكن كما ذكرنا فليوجدونا ربَّاً ظهر من جبل فاران ولن يفعلوا . فأما اسم الرَّبِّ ها هنا فإنه يقع على النبي صلى الله عليه وسلم، وهي كلمة مستعملة من العرب والعجم في الله عز وجل، وفي عباده، كقولك : " ربُّ البيتِ "، وقول السريانيين لمن أرادوا تفخيمه : " مار " أي : يا ربي ويا سيدي، ومار بالسريانية هو الربُّ " [3] .

---

(١) الدين والدولة : ص ١٣٨. ولا يختلف النص عند ابن ربَّن كثيراً عن الترجمات الحالية، إلا في الجزء الأخير من الترجمة اليسوعية. (ينظر : طبعة رجارد واطس للكتاب المقدس، سفر التثنيه ٣٣ / ٢ ، طبعة الآباء الدومنكان، تثنية ٣٣ / ٢، الترجمة العربية للسبعينية، تثنية ٣٣ / ٢، وفي الترجمة اليسوعية : " أقبلَ الرَّبُّ من سيناء، وأشرق لهم من سعِير، وسطع من جبال فاران، وأتى من ربواتِ قادش "، تثنية ٣٣ / ٢).

(٢) وتجدر الإشارة إلى أن علماء أهل الكتاب الذين أسلموا قد استدلوا بهذا النص أيضاً على نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وصفته. (ينظر : إفحام اليهود : ص ص ١١٨ – ١١٩، تحفة الأريب : ص ١٣٩)، في حين ذهب سعيد بن حسن الإسكندراني – وهو العالم باللسان العبراني – في تفسيره للنص السابق : " أن أهل اللغة العبرانية اتفقوا على أن جبل فاران هي جبال مكة، وربوات قدسه هم أهل البيت الحرام ". (مسالك النظر : ص ٤٩).

(٣) الدين والدولة : ص ص ١٣٨ – ١٣٩.

المبحث الخامس
صورة النبى صلى الله عليه وسلم في مزامير داوود كما عرضها كتاب " الدين والدولة " مقارنة بترجمات المزامير الحالية

هنا عرض ابن ربَّن سبعة نصوص من مزامير داوود، واستدل بها على البشارة بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم وصفته، وسوف يقتصر الباحث على ذكر اثنين من هذه النصوص .

فأما النص الأول فجاء فيه على لسان داوود عليه السلام : " إن ربَّنا عظيمٌ محمودٌ جداً، وفي قرية إلهنا وفي جبَلِهِ قدوسٌ ومحمد، وعمّت الأرض كلها فرحاً " حيث يرى ابن ربَّن أن هذا النص هو نبوءة صريحة من داوود عليه السلام، لا تلابسها شكوك، لأنه سمّى النبي صلى الله عليه وسلم تسمية [١].

وهذا النص – كما عرضه ابن ربَّن – من النصوص النادرة التي صرّحت باسم النبي محمد صلى الله عليه وسلم دون تأويل، وهو ما لا نجده فيما بين أيدينا من ترجمات لمزامير داوود عليه السلام [٢] .

---

(١) الدين والدولة : ص ١٣٩.

(٢) بمقارنة النص الذي أورده ابن ربَّن بالترجمات التي بين أيدينا، لا نجد التصريح باسم النبي محمد صلى الله عليه وسلم، اللهم إلا ما جاء في طبعة الآباء الدومنكان، حيث أثبتوا صفة الحمد لله، ولم يصرحوا باسم النبي محمد صلى الله عليه وسلم بعد ذلك، إذ يقول النص في تلك الطبعة : " عظيم هو الربُّ ومحمدٌ جداً في مدينة إلهنا في جبل قدسه " (مزمور ١/٤٧ – ٢)، وقد جاء النص في طبعة رجارد واطس كما يلي : " عظيمٌ هو الربُّ ومُسبَّحٌ جداً في مدينة إلهنا في جبل قدسه يتأسس بالفرح في كل الأرض جبل صهيون " (مزمور ٤٧ / ١– ٢)، وفي الترجمة اليسوعية يقول النص : " الربُّ عظيم وجدير بالتسبيح الكثير في مدينة إلهنا، جبل قدسه البهي الطلعة، بهجة الأرض كلها، جبل صهيون أقاصي الشمال مدينة الملك العظيم " (مزمور ٤٨ / ١ –٣)، وفي ترجمة الأبوان بولس الفغالي وأنطوان

والنص الأخير الذي استند إليه ابن ربَّن، ويرى أنه أكد وشدد النبوات السابقة، جاء في المزمور الثاني والسبعين، وفيه : " أنه يجوز من البحر إلى البحر، ومن لدن الأنهار إلى منقطع الأرض، وأنه يخرُّ أهل الجزائر بين يديه على ركبهم، وتلحس أعداؤه التراب ...، وأنه يبقى ويُعطى من ذهب بلاد سبأ، ويُصلَّى عليه في كل وقت، ويُبارَك عليه كل يوم، مثل الزروع الكثيرة على وجه الأرض، ويطلع ثماره على رؤوس الجبال كالتي تطلع من لبنان، وينبت في مدينته مثل عشب الأرض، ويدوم ذِكره إلى الأبد، وأن اسمه لموجود قبل الشمس، فالأمم كلهم يتبركون به، وكلهم يحمدونه " [1] .

وكل هذه الأوصاف التي وردت في النص ينزلها ابن ربَّن على النبي صلى الله عليه وسلم وأُمَّته، لأنه – كما يقول – " لا نعلم أحداً يُصلَّى عليه ويُبَارَك في كل وقت غير محمد صلى الله عليه وسلم، وهو قول الأمم : اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد وبارك على محمد وعلى آل محمد، أيَّةُ دلالة أشهر، ونبوة أظهر وأنور من هذه، ولقد ختم داوود النبي عليه السلام نبوته هذه بأن قال : فالأمم كلها يتبركون به ويحمدونه ويسمونه محمداً، ومعنى محمد ومحمود واحد"[2].

=عوكر للعهد القديم العبري (بيروت، ط ١، ٢٠٠٧ م) يقول النص : " الربُّ عظيم وله التهليل في مدينة إلهنا، في جبله المقدس، في أقصى الشمال جبل صهيون، مدينة الملك العظيم " (مزمور ٤٨ / ١ – ٣).

(١) الدين والدولة : ص ص ١٤٠ – ١٤١ .

(٢) الدين والدولة : ص ١٤٢.

ولا تختلف الترجمات التي بين أيدينا كثيراً عما أورده ابن ربَّن في النص السابق، بيد أنها توجه النص على أنه دعاء لسليمان عليه السلام [1]، إلا أننا من جهة أخرى – وهو الأهم – لا نجد في تلك الترجمات الخاتمة التي ختم بها داوود نبوته، وفيها صرَّح باسم النبي محمد صلى الله عليه وسلم، كما نصّ على ذلك ابن ربَّن ونقله .

(١) الطبعة الوحيدة التي لم توجِّه النص على أنه دعاء لسليمان عليه السلام هي طبعة رجارد واطس، بينما باقي الترجمات التي بين أيدينا ذكرت أن النَّص عبارة عن دعاء لسليمان عليه السلام. (ينظر : طبعة رجارد واطس للكتاب المقدس، مزمور ٧١ / ١ – ١٧، وقارن : طبعة الآباء الدومنكان : مزمور ٧١ / ١ –١٧، الترجمة اليسوعية : مزمور ٧٢ / ١ – ١٧، العهد القديم العبري، ترجمة الأبوان بولس الفغالي وأنطوان عوكر، مزمور ٧٢ / ١ – ١٧).

المبحث السادس
صورة النبى صلى الله عليه وسلم في نبوءات أشعيا كما عرضها كتاب " الدين والدولة " مقارنة بترجمات الأسفار الحالية

أما في سفر أشعيا – وهو أكبر الأسفار التي تضم بشارات ونبوءات عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم وصفته – فقد استند ابن ربَّن إلى حوالي ثلاثين نصاً، رأى أنها تُبشِّر وتدل على النبي محمد صلى الله عليه وسلم وصفته في تلك الكتب، وسوف يكتفي الباحث بذكر نصَّين من تلك النصوص التي أوردها ابن ربَّن مقارنة بنصوص الترجمات الحالية.

يقول ابن ربَّن : " وقد قال أشعيا في الفصل الخامس : " إنه وُلد لنا مولود ووُهِب لنا ابنٌ سلطانه على كتفه "، ومعنى قوله هذا إن نبوته على كتفه، فهذا في كتب السريانية التي فسرها مارقوس، فأما في العبرانية فإنه يقول : " على كتفه علامة النبوة "، وهي التي يسميها أهل الإسلام خاتم النبوة، فهذا – كما يقول ابن ربَّن – تصريح بصفة النبي صلى الله عليه وسلم وإشارة إلى صورته وشاماته " [1] .

(١) الدين والدولة : ص ص ١٤٦ –١٤٧. وتجدر الإشارة إلى أن صفة هذا الخاتم قد وردت من طرق صحيحة، منها ما رواه جابر بن سمُرة قال : " رأيت خاتم النبوة عند كتفه صلى الله عليه وسلم مثل بيضة الحمامة " (صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب إثبات خاتم النبوة وصفته ومحله من جسده صلى الله عليه وسلم، حديث رقم (٢٣٤٤)، وفي رواية السائب ابن يزيد، أنه مثل " زِر الحَجَلة " (صحيح مسلم : حديث رقم " ٢٣٤٥)، وفي حديث عبد الله بن سَرجِس، أنه – أي الخاتم – عند ناغِضِ كتفهِ اليسرى، جُمعاً، عليه خيلانٌ كأمثال الثآليل ". (صحيح مسلم : حديث رقم " ٢٣٤٦ ").

وفي الترجمات التي بين أيدينا لسفر أشعيا لا نصادف إلا ما يوافق الكتب السريانية [1]، أما ترجمة النص – العبراني – بأن " على كتفه علامة النبوة " فهو غير موجود، وإن كانت المصادر – الإسلامية – تدعم وتؤكد ترجمة ابن ربَّن للنص العبري، لأنها تذكر أن أحبار ورهبان أهل الكتاب كانوا يعلمون أن من علامات خاتم الأنبياء، وجود خاتم النبوة بين كتفيه [2] .

---

(١) والنص في طبعة رجارد واطس كالآتي : " لأنه صبياً وُلد لنا وابناً أُعطينا، وصارت رياسته على منكبيه ". (أشعيا ٩ / ٦ –٧)، وفي طبعة الآباء الدومنكان : " لأنه قد وُلد لنا صبي، وابناً عظيماً، وتكون الرئاسة على منكبيه ". (أشعيا ٩ / ٦)، وفي الترجمة اليسوعية : " لأنه قد وُلد لنا ولد، وأُعطي لنا ابن، فصارت الرئاسة على كتفه ". (أشعيا٩ / ٦)، وفي العهد القديم العبري، ترجمة الأبوان بولس الفغالي وأنطوان عوكر : " لأنه يولد لنا ولد، ويُعطى لنا ابن، وتكون الرئاسة على كتفه " (أشعيا ٩ / ٥ –٦).

(٢) وقد ورد ذلك في قصة الراهب " بحيرا " الذي التقى بالنبي صلى الله عليه وسلم عند خروجه مع عمه أبي طالب إلى الشام، فرأى خاتم النبوة بين كتفي النبي صلى الله عليه وسلم، فوافق ما عنده من علامات النبي الخاتم. (صحيح سنن الترمذي للألباني، الرياض، مكتبة المعارف، ط ١، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م ، جـ ٣، ص ٤٨٧، حديث رقم "٣٦٢٠ "، وأخرجه الحاكم في المستدرك وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠٢ م، جـ ٢، ص ٦٧٣، حديث رقم " ٤٢٢٩ "، والطبري : تاريخ الطبري، جـ ٢، ص ٢٧٧). كما ورد ذلك أيضاً في قصة إسلام سلمان الفارسي رضى الله عنه، الذي أوصاه صاحب عمورية باللحاق بأرض العرب، لأنه سيخرج منها النبي الخاتم، والذي من علاماته وجود " خاتم النبوة بين كتفيه ". (للمزيد ينظر : محمد بن إسحاق بن يسار، سيرة ابن إسحاق المسماة بكتاب المبتدأ أو المبعث والمغازي، تحقيق محمد حميد الله، المغرب، معهد الدراسات والأبحاث للتعريب١٣٦٩ هـ – ١٩٧٦، ص ٦٨، محمد بن سعد : كتاب الطبقات الكبير، تحقيق الدكتور علي محمد عمر، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط ١، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م، جـ ٤، ص ٧١).

وفي النص الثاني يقول ابن ربَّن : " قال أشعيا في الفصل الحادي عشر : إنا سمعنا من أطراف الأرض مزموراً وترتيلاً للبرِّ والخير، وهو يقول : إنَّ لي سِرَّاً إنَّ لي سِرَّاً، ويقول : يا ويحي، فَجَر الفُجَّار فجوراً، فَجَر الفُجَّار فجوراً، ... "، فهذا في تفسير مارقوس، فأما في العبراني الذي هو الأصل فأنه يقول : " إنا سمعنا من أطراف الأرض صوت محمد " [١] .

وفي الترجمات التي بين أيدينا لسفر أشعيا لا نصادف إلا ما يوافق الكتب السريانية، أما ترجمة النص – العبراني – المُصرَّح باسم النبي صلى الله عليه وسلم ، كما ترجمه ابن ربَّن فهو غير موجود [٢] .

---

(١) الدين والدولة : ص ص ١٥٢ – ١٥٣.

(٢) وقد جاء النص السابق في طبعة رجارد واطس كالآتي : " من أقاصي الأرض سمعنا التسابيح، حمد البارّ، فقلتُ : إنَّ سِرِّي لي، إنَّ سِرِّي لي، ويلي اخطوا خاطيين، واخطوا خطية المعتدين " (أشعيا ٢٤ / ١٦)، وفي طبعة الآباء الدومنكان كالآتي : " من أقاصي الأرض سمعنا نشيداً مديحاً للبارِّ، فقلتُ : واحرباهُ، واحرباهُ، الويل لي، الناهبون نهبوا، الناهبون نهبوا نهباً " (أشعيا ٢٤ / ١٦)، وفي الترجمة اليسوعية كالآتي : " من أطراف الأرض سمعنا تسابيح : " الفخر للبارّ " فقلت : تباً لي تباً، ويلٌ لي، الخونة يخونون، الخونة يخونون خيانة " (أشعيا ٢٤ / ١٦)، وفي العهد القديم العبري ، ترجمة الأبوان بولس الفغالي وأنطوان عوكر : " ومن أطراف الأرض نسمع أناشيد، الإكرام للإله الحق، ولكن ويح لي، بل الويل كل الويل، خان الذي خان، والخونة يخونون " (أشعيا ٢٤ / ١٦).

المبحث السابع
صورة النبى صلى الله عليه وسلم في الإنجيل كما عرضها كتاب " الدين والدولة " مقارنة بترجمات الإنجيل الحالية

استند ابن ربَّن هنا على ما لا يقل عن خمسة نصوص من الإنجيل، رأى أنها مبشرة بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم وصفته، وسوف يكتفي الباحث بتحليل النص الأول، ومقارنته بالترجمات الحالية .

قال ابن ربَّن : " قال المسيح عليه السلام في ذلك – أي في البشارة بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم – ما هو مُقيّد مخلّد في كتاب يوحنا التلميذ، في الفصل الخامس عشر من إنجيله : أن الفارقليط روح الحق الذي يرسله أبي باسمي يعلمكم كل شيء "، فالفارقليط الذي يرسله الله بعد المسيح مصدقاً لاسم المسيح عليه السلام، هو الذي علَّم الناس كل شيء لم يكونوا عَلِموه من قبل، ولم يكن في تلامذة المسيح إلى دهرنا هذا مِن أحد علَّم الناس شيئاً غير الذي كان علَّمهم المسيح، فالفارقليط الذي علَّم الناس ما لم يكونوا يعلمونه هو النبي صلى الله عليه وسلم، والقرآن هو العِلم الذي سماه المسيح كل شيء " [1] .

وقال عنه يوحنا – كما ينقل ابن ربَّن – : " إن الفارقليط لن يجيئكم ما لم أذهب، فإذا جاء وبّخ العالم على الخطيئة، ولا يقول من تلقاء نفسه شيئاً، لكن يسوسكم بالحق كله، ويخبركم بالحوادث والغيوب "، وقال يوحنا أيضاً : " إني سائل أبي أن يرسل إليكم فارقليطاً آخر يكون معكم إلى الأبد " [2] .

---

(١) الدين والدولة : ص ١٨٤.

(٢) المصدر نفسه : ص ١٨٤. وتجدر الإشارة إلى أن الفارقليط في الإنجيل المترجم إلى اللاتينية : " براكلتس ". (تحفة الأريب : ص ص ١٣٩ – ١٤٠).

وبمقارنة ترجمة ابن ربَّن للنص السابق بالترجمات التي بين أيدينا، نجد أن الترجمات التي تعود للقرن التاسع عشر الميلادي – والتي تستند بدورها على ترجمات أقدم عهداً – تُثبت كلمة " الفارقليط " [1]، في حين أن الترجمات العربية الحديثة – سواء من اليونانية أو القبطية – لا تثبت تلك الكلمة، لكن تستبدلها بكلمة أخرى، مثل المؤيِّد، أو المُعزِّي [2] .

---

(١) من تلك الترجمات، طبعة رجارد واطس بلندن سنة ١٨٣٣م، على النسخة المطبوعة بروما سنة ١٦٧١ م، حيث جاء النص فيها كما يلي : " إن كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي، وأنا أطلب من الآب فيعطيكم فارقليط آخر ليثبت معكم إلى الأبد ". (يوحنا ١٤ / ١٦ – ١٤)، وفي موضع آخر : " والفارقليط روح القدس الذي يرسله الآب باسمي يعلمكم كل شيء، وهو يذكركم كما قلت لكم " (يوحنا ١٤ / ٢٦)، وفي طبعة الآباء الدومنكان بالموصل 1876، بحسب الترجمة العربية الشرقية المطبوعة بروما ١٧٠٣ م، يقول النص : " وأنا أطلب من الآب فيعطيكم فارقليطاً آخر، ليثبت معكم إلى الأبد ". (يوحنا ١٤ / ١٦)، وفي موضع آخر : " والفارقليط روح القدس الذي يرسله الآب باسمي هو يعلمكم كل شيء، ويذكركم كل ما قلته لكم ". (يوحنا ١٤ / ٢٦).

(٢) والنص في الترجمة اليسوعية كالآتي : " وأنا سأسأل الآب فيهب لكم مؤيِّداً أخر يكونه معكم للأبد ". (يوحنا ١٤ / ١٦)، وفي موضع آخر : " قلتُ لكم هذه الأشياء وأنا مقيم عندكم، لكن المؤيِّد الروح القدس الذي يرسله الآب باسمي هو الذي يعلمكم جميع الأشياء، ويذكركم جميع ما قلته لكم ". (يوحنا ١٤ / ٢٥ – ٢٦)، وفي الترجمة العربية للترجمة القبطية، طبعة المطبعة التوفيقية القبطية، القاهرة، من النص القبطي البحيري، ١٩٣٦ م : " وأنا سأسأل الآب فيعطيكم مُعزيِّاً آخر ليمكث معكم إلى الأبد ". (يوحنا ١٤ / ١٦)، وفي موضع آخر : " قلتُ لكم هذا وأنا مقيم عندكم، فإذا جاء المُعزِّي الروح القدس الذي سيرسله الآب باسمي، فهو يعلمكم كل شيء، ويذكركم بكل ما قلته لكم ".(يوحنا ٢٦/١٤)، ولا تختلف الترجمة العربية للنص اليوناني كثيراً عن الترجمة العربية للنص القبطي (يوحنا/١٤ / ١٦، ١٤ / ٢٥ – ٢٦، العهد الجديد – ترجمة بين السطور – يوناني عربي، إعداد الآباء بولس الفغالي وآخرون، بيروت، طبعة مؤسسة دكّاش، ط ١، ٢٠٠٣م).

وكلمة الفارقليط (بيريكلتوس) كما ذهب إلى ذلك المستشرق الإيطالي " كارول نلينو " (ت ١٩٣٨م)، وهو المتخصص في آداب اللغة اليونانية القديمة، تعني : الذي له حمد كثير، وهو ما يوافق أفعل التفضيل من " حمد "، وذلك مصداقاً لقوله تعالى على لسان المسيح عليه السلام : " مُّصدِّقاً لِّمَا بَينَ يَدَيَّ مِنَ التَّوراةِ وَمُبشِّرا بِرَسُولٍ يَأتِي مِن بَعدِي اسمُهُ أَحمَدُ " (١) .

أما كلمة " الروح القدس " الموجودة في الترجمات الحالية فيبدو أنها زيدت على النص الأصلي، يقول موريس بوكاي (ت ١٩٩٨ م) : " ... وكان وجود كلمتي الروح القدس في النص الذي بين أيدينا اليوم، كان بحسب التقدير بإضافة لاحقة مقصودة، وهادفة إلى تغيير المعنى الأساسي للمقطع، الذي يخبر بمجيء رسول بعد المسيح يتضاد مع تعاليم الكنائس المسيحية الناشئة، التي تريد أن يبقى المسيح آخر الرسل " (٢) .

وعلى هذا تبقى دلالة النص على النبي محمد صلى الله عليه وسلم وصفته واضحة، كما ذهب إلى ذلك على بن ربَّن الطبرى، وكما جاء في القرآن على لسان عيسى عليه السلام، والذي بشَّر برسول يأتي من بعده اسمه أحمد صلى الله عليه وسلم .

---

(١) جاء ذلك في حوار جرى بين الدكتور عبد الوهاب النجار وبين المستشرق كارول نلينو، وذكره الدكتور عبد الوهاب النجار في كتاب " قصص الأنبياء ". (قصص الأنبياء : بيروت، دار إحياء التراث العربي، د. ت، حاشية ص ص ٣٩٧ –٣٩٨).

(٢) التوراة والإنجيل والقرآن والعلم : ترجمة الشيخ حسن خالد، بيروت، المكتب الإسلامي، ط ٣، ١٤١١ هـ – ١٩٩٠ م، ص ص ١٣٢ – ١٣٣. وتجدر الإشارة إلى أن ترجمة ابن ربَّن للنص ذكرت "روح الحق " لا " روح القدس ". (الدين والدولة : ص ١٨٤).

المبحث الثامن
دعوى عدم موضوعية علي بن ربّن الطبري في نقله وتحليله لنصوص الكتاب المقدس

منذ أن ظهرت كتابات مسلمي أهل الكتاب، والتي حاولوا من خلالها تصحيح صورة النبي صلى الله عليه وسلم في الكتب المقدسة، إلا وأعقبها هجوم عنيف عليها، وطعن في موضوعية ونزاهة أصحابها في النقل من التوراة والإنجيل، وأقدم من حاول الهجوم على تلك المصنفات، والطعن في نزاهة وموضوعية أصحابها كان سعد بن منصور المعروف بابن كمونة اليهودي (ت ٦٨٣ هـ)، وذلك في كتابه (تنقيح الأبحاث للملل الثلاث)، وقد ركز هجومه وطعنه بصفة خاصة على كتابات السموأل بن يحيى [١] . وحديثاً هناك المستشرق سيدني وستون (Sidney Adams Wiston)، الذي ادعى أن سعيد بن حسن الإسكندراني قد حرَّف وأوَّل نصوص العهد القديم، لتطابق غرضه باستحقاق محمد صلى الله عليه وسلم بشارات الكتب المقدسة [٢] .

أما كتاب " الدين والدولة " وصاحبه فقد نالا قدراً لا بأس به من النقد، حيث ناقش أحدهم [٣] نقول ابن ربَّن الطبري واستشهاداته وتأويلاته فيما لا يقل عن عشرين صفحة، وفي ذلك يقول– على سبيل المثال – : " كيف يُفسَّر اقتصار الطبري أحياناً على الجزء مِن نَص التوراة، الذي يتناسب مع الغرض الذي يدعو

---

(١) تنقيح الأبحاث للملل الثلاث : القاهرة، دار الأنصار، ص ص ٩٦ – ٩٧ .

(٢) مقدمة المستشرق سيدني وستون لكتاب " مسالك النظر "، ترجمة الدكتور محمد عبد الله الشرقاوي، ص ١٥.

(٣) وهو الدكتور عبد المجيد الشرفي في كتابه " الفكر الإسلامي في الرد على النصارى إلى نهاية القرن الرابع / العاشر، تونس، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٦ م.

إليه، متغاضياً بذلك عن القسم الذي يمكن أن يعارَض به " [1]، وكيف يُفسَّر " خلو الترجمات الحديثة – كترجمة اليسوعيين وترجمة محمد الصادق حسين للمزامير – مِن ذِكر اسم النبي صلى الله عليه وسلم " محمد ومحمود "صراحة، بخلاف تصريح الطبري بذكر الاسم في ترجمته للمزمور٤٨ والمزمور٥٠ تصريحاً " [2] .

والباحث إذ يناقش تلك الدعوى، لا يدَّعي أن كتابات مسلمي أهل الكتاب جميعها قد سلمت من الأخطاء، أو أن جميع التأويلات التي أنزلوها على النبي محمد صلى الله عليه وسلم قد أصابوا فيها جميعاً، ومع ذلك فمن المهم بمكان عند مناقشة تلك الدعوى أن يتذكر أصحابها ملحظين مهمين، حتى لا يكون الحكم بعدم موضوعية تلك الكتابات هو نفسه بعيد عن الموضوعية :

الملحظ الأول : أن أصحاب تلك المصنفات هم علماء راسخون في علوم التوراة والإنجيل[3]، تقصوا نصوصهما، وقلبوهما قلباً، ثم كتبوا تلك المصنفات التي صححوا بها صورة النبي صلى الله عليه وسلم، وذلك في أزمنة مختلفة – من

---

(١) وهو الدكتور عبد المجيد الشرفي في كتابه " الفكر الإسلامي في الرد على النصارى إلى نهاية القرن الرابع / العاشر، تونس، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٦ م : ص ٤٨٤.

(٢) المرجع نفسه : ص ٤٨٨. وللمزيد حول تلك الفكرة والنتائج التي خلص إليها المؤلف ينظر : ص ٤٩٦، ص ص ٥٠٨ – ٥٠٩.

(٣) وهذا بشهادة علماء أهل الكتاب أنفسهم، وقد جاء في قصة إسلام عبدالله الترجمان أنه طلب من سلطان تونس أن يغيبه في بعض منازله، ثم يرسل إلى مَن بحضرته من أحبار النصارى وتجارهم فيسألهم عنه في غيابه، قبل أن يعلن عبد الله إسلامه، فأرسل السلطان إليهم وسألهم عنه، فقالوا : " يا مولانا هذا عالِم كبير في ديننا، وقال مشايخنا : ما رأينا أعلى منه درجة في العلم والدين في ديننا، فلما سمع السلطان ذلك أرسل إلى عبدالله، فحضر بين يديه وتشهد شهادة الحق بمحضر النصارى، فكُبُّوا على وجوههم ". (تحفة الأريب : ص ص ٤٧ – ٤٨).

القرن الثالث الهجري حتى القرن التاسع الهجري، وأمكنة مختلفة – فمنهم الطبري والإسكندراني والمغربي والأندلسي –، فهل من المنطقي أن يتواطأ هؤلاء العلماء على التأويل الخاطىء لنصوص التوراة والإنجيل، وذلك على اختلاف أزمنتهم واختلاف أمكنتهم ؟ ! .

الملحظ الثاني : أن هؤلاء العلماء – الذين يطعنون في نزاهتهم العلمية – لهم قدم راسخة في اللغات التي كُتبت بها نصوص تلك الكتب المقدسة، أو حتى تلك اللغات التي تُرجمت إليها تلك النصوص [١]، أما الترجمات – الحالية – فهي ترجمات – بإقرار أصحابها – قد أُعيد النظر فيها أكثر من مرة، وتم التبديل والتعديل في ألفاظها وتراكيبها وتعابيرها [٢]، كما أنها – بإقرار أصحابها أيضاً – مجرد محاولات لمداواة عيوب الترجمات السابقة، وسد الخلل الموجود فيها [٣]، فمَن يضمن إذاً أن تظهر مستقبلاً محاولات أخرى لترجمات جديدة، تسد الخلل

(١) تجدر الإشارة إلى أن علي بن ربَّن الطبري – مثلاً – كان يتقن اللغات : العبرية والسريانية والعربية.(الرد على أصناف النصارى : ص ٨٦، الدين والدولة : ص ١٣١، ١٣٩، ١٤٧، ١٥٣، ١٥٦)، وذهب البعض إلى أنه كان يعرف قليلاً من اليونانية (مقدمة الدكتور محمد زبير الصديقي لكتاب فردوس الحكمة : ص " ز ")، كما كان السموأل بن يحيى من الراسخين في اللسان العبراني، ويشهد على ذلك نقوله في كتاب " إفحام اليهود " من أوله إلى آخره، وأيضاً كان سعيد بن حسن الإسكندراني يتقن العبرانية والسريانية. (مسالك النظر : ص ٤٥، ص ص ٥١ – ٥٥، ص ٨١)، أما عبدالله الترجمان فقد كان يعرف اليونانية واللاتينية والفرنسية والإيطالية، فضلاً عن اللغة العربية. (تحفة الأريب : ص ٤٩، ص ص ١٣٩ – ١٤٠).

(٢) مقدمة الترجمة اليسوعية للكتاب المقدس : ص ٧.

(٣) مقدمة سفر المزامير، نقله إلى العربية محمد الصادق حسين بالاشتراك مع الأب س. دي بوركي الدومنكي، القاهرة، دار السلام، ١٩٦١ م ، ص ص ١٧ – ١٨ .

وتداوي العيوب في تلك الترجمات، والتي حاولت أن تداوي عيوب الترجمات السابقة ؟ .

والسؤال هنا : هل من المنطقي أن نطعن في موضوعية ابن ربَّن الطبري، وبالتالي في النصوص التي يستند إليها، وهو العالِم بالتوراة والإنجيل، وبنصوص الكتاب المقدس، وبترجماته المختلفه المتعددة، استناداً إلى أنها ليست موجودة في الترجمات التي بين أيدينا اليوم، والتي هي – بإقرار أصحابها – مجرد تأويلات متجددة لمداواة العيوب في الترجمات السابقة ؟ ! .

وهل من المنطقي أن تصبح تلك الترجمات الحالية هي الأصل الذي يُقاس عليه لبيان خطأ ابن ربَّن الطبري في نقوله وتفسيره لنصوص الكتاب المقدس ؟! .

ثم – وهو الأهم – أين وكيف كنا سنجد ونعرف صفة النبي صلى الله عليه وسلم الموجودة في التوراة والإنجيل بهذا التفصيل والوضوح، لو لم تظهرها لنا كتابات مسلمي أهل الكتاب [1] ؟ .

فالقرآن الكريم صرح بأن صفة النبي صلى الله عليه وسلم مكتوبة في التوراة والإنجيل، وذلك في قوله تعالى " الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكتُوباً عِندَهُم فِي التَّورَاةِ والإنجِيلِ يَأمُرُهُم بِالمَعرُوفِ وَيَنْهَاهُم عَنِ المُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيهِمُ الخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنهُم إِصرَهُم والأَغلالَ الَّتِي كَانَت

(١) تجدر الإشارة إلى أن المصادر الإسلامية الأصلية لم تنقل لنا إلا القليل عن صفة النبي صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل، منها – مثلاً – ما ذكره الباحث سابقاً على لسان عبد الله بن عمرو بن العاص، عن صفة النبي صلى الله عليه وسلم في التوراة، ومنها ما ذكره ابن إسحاق عن صفة النبي صلى الله عليه وسلم في الإنجيل مما أثبت يُحنّس (يوحنا). (ابن هشام : سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، جـ١، ص ص ٢٩٨ – ٢٩٩).

عَلَيهِم فالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ المُفلِحُونَ " (١) .

كما صرح القرآن الكريم أيضاً بأن المسيح عليه السلام بشَّر برسولٍ يأتي من بعده اسمه أحمد، وفي ذلك يقول المولى سبحانه وتعالى: " وَإِذ قَالَ عِيسَى ابنُ مَريَمَ يَا بَنِي إِسرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيكُم مُّصدِّقاً لِّمَا بَينَ يَدَيَّ مِنَ التَّوراةِ وَمُبشِّرا بِرَسُولٍ يَأتِي مِن بَعدِي اسمُهُ أَحمَدُ فَلمَّا جَاءَهُم بِالبَيِّنَاتِ قَالُوا هَٰذَا سِحرٌ مُّبِينٌ " (٢) .

والحاصل إذن أن ما ذكره ابن ربَّن في " الدِّين والدولة " من نصوص صرّحت باسم النبي صلى الله عليه وسلم، وتحدثت عن صفته في التوراة والإنجيل ينبغي أن يكون هو الأصل، لأن مُرجِّحات قبول نقوله وتفسيراته لنصوص الكتاب المقدس ظاهرة لكل منصف باحث عن الحق، فالرجل من المتعمقين في التوراة والإنجيل، والعالمين بترجمات الكتاب المقدس المختلفة حتى عهده، خبيراً باللغات: العبرانية والسريانية والعربية، وقليل من اليونانية، هذا بالإضافة تقدم عهده، وقربه من الترجمات القديمة والمفقودة للكتاب المقدس .

(١) سورة الأعراف : آية (١٥٧).
(٢) سورة الصَّف : آية (٦).

الخاتمة وأهم النتائج

تناول الباحث في هذا البحث موضوع " مُصنّفات مسلمي أهل الكتاب في تصحيح صورة النبي صلى الله عليه وسلم بالكتب المقدسةكتاب " الدِّين والدولة " لعلي بن ربَّن الطبري نموذج تحليلي مقارن "، حيث بدأ بعرض موجز لكتابات مُسلمي أهل الكتاب المبكرة عن النبي صلى الله عليه وسلم، كما تحدث عن علي بن ربَّن الطبري مؤلف كتاب " الدين والدولة "، ثم عرض محتوى كتاب " الدين والدولة " وأقوال المحققين فيه، ثم حلل صورة النبي صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل كما عرضها كتاب " الدين والدولة " مقارنة بترجمات الكتاب المقدس الحالية، ثم ختم الباحث بحثه بمناقشة دعوى عدم موضوعية علي بن ربَّن الطبري في نقله وتحليله لنصوص الكتاب المقدس .

وقد توصل الباحث من خلال تناوله لهذا الموضوع إلى مجموعة من النتائج، والتي يمكن إجمالها في النقاط الآتية :

أولاً : أن المتأمل لمصنفات مُسلمي أهل الكتاب المبكرة، والتي صحَّحت صورة النبي صلى الله عليه وسلم في الكتب المقدسة، يدرك أنها شملت بُعداً تاريخياً تجاوز سبعة قرون تقريباً، كما استغرقت حيِّزاً جغرافياً امتد من شرق العالم الإسلامي إلى غربه، وهذا بدوره يوضح أن قضية تصحيح صورة النبي صلى الله عليه وسلم في الكتب المقدسة كانت من القضايا المهمة، والتي شغلت الفكر الإسلامي في عصوره الأولى، فأخذ كلٌّ يسهم على قدْرِهِ في هذا الباب، ورغم تفاوت الجهود، وتعدد الأساليب، إلا أنها جميعاً قد استقت من معين واحد، فمثّلت وحدة مؤتلفة الأجزاء، متكاملة التراكيب في الدلالة على صورة النبي صلى الله عليه وسلم في الكتب المقدسة .

ثانياً : رغم تعدد مصنفات مُسلمي أهل الكتب المبكرة، والتي صُنِّفت للرد على اليهود والنصارى عامة، وتصحيح صورة النبي صلى الله عليه وسلم خاصة، لكن يظل كتاب " الدِّين والدولة " هو المصنَّف الأول في مجال الدرس الديني المقارن، والمصنَّف الأهم في تصحيح صورة النبي صلى الله عليه وسلم بالكتب المقدسة، وذلك من حيث حجم النصوص التي استشهد بها صاحبه، ومن حيث شروحه وتفسيراته التي وجّه بها تلك النصوص، ولذلك كان من الطبيعي أن يترك هذا الكتاب أثره الواضح على كتابات مُسلمي أهل الكتاب التي جاءت بعده .

ثالثاً : في مجال إثبات نبوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، والبشارة به، وتصحيح صورته في الكتب المقدسة، استند ابن ربَّن الطبري على ما لا يقل عن ٦٨ نصاً من نصوص الكتاب المقدس (في عهديه القديم والجديد)، منها ٦ نصوص من توراة موسى عليه السلام، ٧ نصوص من نبؤات داوود عليه السلام، ٣١ نصاً من نبؤات أشعيا عليه السلام، نصَّان من نبؤات هوشاع، نص من نبؤات ميخا، نص من نبؤات حبقوق، نص من نبوة صفنيا، نصان من نبوة زكريا عليه السلام، ٥ نصوص من نبؤات أرميا النبي، نصّان من نبؤات حزقيال، و٣ نصوص من نبؤات دانيال، هذا بالإضافة إلى ٧ نصوص من الإنجيل، هي كما يلي : ٣ نصوص من إنجيل يوحنا، نصا من رسالة يوحنا الأولى، نص من رسالة شمعون الصفا (بطرس الأولى)، نص من إنجيل لوقا، ونص من رسالة بولس إلى أهل جالاطيا (غلاطية) .

رابعاً : من خلال تحليل النصوص التي استند إليها ابن ربَّن الطبري، ثم مقارنتها بالترجمات الحالية للكتاب المقدس، نجد أنه استند إلى ٧ نصوص صرَّحت بذِكر اسم النبي صلى الله عليه وسلم (محمد، أحمد) وصِفتِهِ، وسمّته تسميةً، وقد جاءت تلك النصوص كالآتي : نص في نبؤات داوود عليه السلام، ٥

نصوص في نبؤات أشعيا عليه السلام، نص في نبؤة حبقوق، وهو ما لا نجده في الترجمات الحالية للكتاب المقدس (العهد القديم).

خامساً : من خلال تحليل النصوص التي استند إليها ابن ربَّن الطبري في التبشير بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم، وتصحيح صورته في الكتب المقدسة، يمكن الاطمئنان إلى شرحه وتفسيره ونقوله لمعظم تلك النصوص، والتي أنزلها على النبي محمد صلى الله عليه وسلم، لوضوح الدلالة، وقوة الحجة، إلا أنه مع ذلك قد استند إلى نصوص أخرى – عامة –، يمكن فهمها وإنزالها بحسب كل عقيدة على شخوص آخرين، غير النبي محمد صلى الله عليه وسلم.

سادساً: وأخيراً فإنَّ دعوى عدم موضوعية ابن ربَّن وتغييره لنصوص الكتاب المقدس، بل وتعميم تلك الدعوى على كل مصنفات مسلمي أهل الكتاب في هذا الفن، هي دعوى لا يمكن أن تقف على ساق، لأنها تستند على ترجمات للكتاب المقدس، هي – بإقرار أصحابها – مجرد محاولات لمداواة عيوب الترجمات السابقة، ولأن مُرجِّحات قبول نقول ابن ربَّن وتفسيراته لنصوص الكتاب المقدس أقوى من تلك الدعاوى، فالرجل من المتعمقين في التوراة والإنجيل، والعالمين بترجمات الكتاب المقدس، والأقلام المختلفة التي كُتبت به، ولديه النص العبري – الأصلي – الذي كان يتحاكم إليه كثيراً عند اختلاف الترجمة، أو على أقل تقدير كان لديه ترجمات قريبة العهد من النص الأصلي.

أهم المصادر والمراجع

أولاً : طبعات وترجمات الكتاب المقدس (العهدين : القديم والجديد)

١ – توراة موسى، ترجمة عربية للسبعينية، ترجمة د . خالد جورج اليازجي، القاهرة، مدرسة الإسكندرية، ط ١، ٢٠١٨ م .

٢– العهد الجديد، ترجمة بين السطور، (يوناني – عربي)، إعداد الآباء بولس الفغالي، أنطوان عوكر، نعمة الله الخوري، يوسف فخري، بيروت، مؤسسة دكّاش للطباعة، ط ١، ٢٠٠٣ م .

٣ – العهد الجديد، الترجمة العربية من القبطي البحيري، القاهرة، المطبعة التوفيقية القبطية، ١٩٣٦ م .

٤ – العهد القديم العبري، ترجمة بين السطور، (عبري – عربي)، إعداد الآباء بولس الفغالي، أنطوان عوكر، بيروت، مؤسسة دكّاش للطباعة، ط ١، ٢٠٠٧ م .

٥ – الكتاب المقدس، طبعة رِجارد واطس، لندن، ١٨٣٣ م، على النسخة المطبوعة في روما سنة ١٦٧١ م .

٦ – الكتاب المقدس، طبعة الآباء الدومنكان، بيروت، جمعية الكتاب المقدس، ٢٠٠٠ م، طبعة عن النسخة الأصلية سنة ١٨٧٥م .

٧ – الكتاب المقدس، الترجمة اليسوعية، بيروت، دار المشرق، ط ٣، ١٩٩٤ م .

ثانياً : المصادر العربية

٨ – ابن أبي حاتم : عبد الرحمن بن محمد بن إدريس، تفسير القرآن العظيم مسنداً عن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين، تحقيق أسعد محمد الطيب، الرياض، مكتبة نزار مصطفى الباز، د . ت.

٩ – ابن أبي أصيبعة : أحمد بن القاسم ، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، طبعة معهد تاريخ العلوم العربية الإسلامية، جامعة فرانكفورت، ألمانيا، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٥م، على طبعة القاهرة، ١٢٩٩ هـ .

١٠ – ابن إسحاق : محمد، سيرة ابن إسحاق المسماة بكتاب المبتدأ أو المبعث والمغازي، تحقيق محمد حميد الله، المغرب، معهد الدراسات والأبحاث للتعريب١٣٦٩ هـ – ١٩٧٦م .

١١ – ابن اسفنديار : بهاء الدين محمد بن حسن، تاريخ طبرستان، ترجمة وتقديم أحمد محمد نادي، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، ط ١، ٢٠٠٢م .

١٢ – الإسكندراني : سعيد بن حسن، مسالك النَّظر في نبوَّة سيِّد البشر : تحقيق الدكتور محمد عبد الله الشرقاوي، القاهرة، مكتبة الزهراء، ١٩٩٠م .

١٣ – البخاري : أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، دمشق، دار ابن كثير ، ط ١، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢ م .

١٤ – البيهقي : ظهير الدين علي بن زيد، تاريخ حكماء الإسلام، عني بنشره وتحقيقه محمد كرد علي، دمشق، مطبوعات المجمع العلمي العربي، ١٩٤٦ م .

١٥ – انسلم : تورميدا، الشهير بعبدالله الترجمان، تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب، تقديم وتحقيق وتعليق دكتور محمود علي حماية، القاهرة، دار المعارف، ط ٣، د . ت .

١٦ – الحاكم النيسابوري : أبو عبد الله محمد بن عبد الله، المستدرك على الصحيحين، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ٢، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠٢ م.

١٧ – الحموي : ياقوت بن عبد الله، معجم الأدباء، القاهرة، مطبعة دار المأمون، الطبعة الأخيرة، د . ت .

١٨ – الخوارزمي : محمد بن أحمد بن يوسف مفاتيح العلوم، تحقيق فان فلوتن، طبعة الذخائر، القاهرة، ٢٠٠٤، عدد ١١٨ .

١٩ – الدارمي : أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن، المسند الجامع، بيروت، دار البشائر الإسلامية، ط ١، ١٤٣٠ هـ – ٢٠١٣ م .

٢٠ – ابن سعد : محمد الزهري، كتاب الطبقات الكبير، تحقيق الدكتور علي محمد عمر، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط ١، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م .

٢١ – ابن سعيد : نصر بن يحيى بن عيسى، النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية ، تحقيق الدكتور محمد عبد الله الشرقاوي، القاهرة، دار الصحوة للنشر والتوزيع، ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م .

٢٢ – الشهرستاني : محمد بن عبد الكريم بن أحمد، الملل والنحل،، تحقيق محمد السيد كيلاني، بيروت، دار المعرفة، ط ٢، ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥ م .

٢٣ – الصفدي : صلاح الدين خليل بن أيبك، الوافي بالوفيات، تحقيق واعتناء تزكي مصطفى، أحمد الأرناؤوط، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط ١، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠ م .

٢٤ – الطبري : على ربَّن الطبري، الدِّين والدولة، حققه وقدم له عادل نويهض، بيروت، دار الآفاق الجديدة، ط ١، ١٩٧٣ م، وطبعة أخرى بتحقيق خالد محمد عبده، مسقط، بيت الغشام للنشر والترجمة، ط ١، ٢٠١٣ م .

٢٥ – الرد على أصناف النصارى، تحقيق وتقديم خالد محمد عبده، القاهرة، مكتبة النافذة، ط ١، ٢٠٠٥ م .

٢٦ – فردوس الحكمة، اعتنى بنسخه وتصحيحه الدكتور محمد الزبير الصديقي، برلين، ١٩٢٨ م .

٢٧ – الطبري : محمد بن جرير، تاريخ الطبري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار المعارف، ط ٢، د . ت .

٢٨ – تفسير الطبري من كتابه جامع البيان عن تأويل آي القرآن، هذبه وحققه وضبط نصه وعلق عليه بشار عواد معروف، عصام فارس الحرستاني، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٤ م .

٢٩ – القرطبي : أبو عبد الله محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق الدكتور عبد الله ابن عبد المحسن التركي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٧ هـ – ٢٠٠٦ م .

٣٠ – القفطي : أبو الحسن علي بن يوسف، إخبار العلماء بأخبار الحكماء، القاهرة، مطبعة السعادة، ١٣٢٦هـ .

٣١ – ابن كمونه : سعد بن منصور اليهودي، تنقيح الأبحاث للملل الثلاث : القاهرة، دار الأنصار، د . ت .

٣٢ – المغربي : السموأل بن يحيى، إفحام اليهود وقصة إسلام السموأل ورؤياه النبي صلى الله عليه وسلم، دراسة وتحقيق د . محمد عبد الله الشرقاوي، بيروت، دار الجيل، ط ٣، ١٤١٠ هـ – ١٩٩٠ م .

٣٣ – النيسابوري : مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، الرياض، دار السلام، ط ٢، ١٤٢١ هـ –٢٠٠٠ م .

٣٤ – ابن هشام : أبو محمد عبد الملك، سيرة النبي صلى الله عليه وسلم تحقيق ودراسة مجدي فتحي السيد، طنطا، دار الصحابة للتراث، ط ١، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٥ م .

ثالثاً : المراجع العربية

٣٥ – الألباني : محمد ناصر الدين، صحيح سنن الترمذي، الرياض، مكتبة المعارف، ط ١، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م .

٣٦ – البغدادي : إسماعيل بن محمد أمين، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، بيروت، دار إحياء التراث العربي، على طبعة وكالة المعارف الجليلة باستانبول، ١٩٥١ م .

٣٧ – الشرفي : دكتور عبد المجيد، الفكر الإسلامي في الرد على النصارى، تونس، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٦ .

٣٨ – النجار : دكتور عبد الوهاب، قصص الأنبياء، بيروت، دار إحياء التراث العربي، د . ت .

رابعاً : المراجع المترجمة

٣٩ – بروكلمان، كارل، تاريخ الأدب العربي، نقله للعربية، الدكتور عبد الحليم النجار، ط ٣، دار المعارف، القاهرة، د . ت .

٤٠ – بوكاي : موريس، التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، ترجمة الشيخ حسن خالد، بيروت، المكتب الإسلامي، ط ٣، ١٤١١ هـ – ١٩٩٠ م .

٤١ – كريستنسن : أرثر، إيران فى عهد الساسانيين، ترجمة يحيى الخشاب، مراجعة عبد الوهاب عزام، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الألف كتاب الثانى – ١٩٩٨م.